## اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

تبلغ مساحة الاتحاد السوفياتى ٢٢ ٤٠٢ ٢٠٠ كم٢ ، ويشغل $\frac{1}{6}$ مساحة اليابس تقريبا ، ويقع على امتداد شمال قارة آسيا وشمال شرق اوروبا ٠

يتولى مجلس السوفيات الاعلى السلطة التشريعيه ويتكون من ٧٦٧ عضوا الى جانب مجلس القوميات السوفيات الذى يضم ٧٥٠ عضوا من مختلف الوحدات الاقليمية والقومية فى الاتحاد السوفياتى ، ويرأس هذه المجلسين رئيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية أندريه أندريفتش جروميكو المولود فى ١٨ / ٦ / ١٩٠٩ ٠

أما السلطة التنفيذية فهى بيد المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الذى يرأسه حاليا رئيس الوزراء السوفياتى ميخائيل جورباتشوف المولود فى ١٩٣١/٣/٢ ٠

ويتكون الاتحاد السوفياتى من ١٥ جمهورية فيدرالية تضم ٢٠ جهورية ذاتية الحكم و٨ مناطق تتمتع بالحكم الذاتى وعشر وحدات قومية ٠ ولكى جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفياتى مجلس وحزب شيوعى وحكومة خاصة بها ، يتم اختيار أعضائها من أفراد الحزب الشيوعى وبعد تصديق وموافقة المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى موسكو ٠ ومع أن المادة ٧٧ من الدستور السوفياتى تنص على أن لكل جمهورية فيدرالية حق الانفصال عن الاتحاد ، ولكن هذا الحق كغيره من الحقوق الدستورية الأخرى مسألة نظريفة فقط ، ولا أكثر من كونه حبر على ورق ٠

بلغ سكان الاتحاد السوفياتى ٠٠٠ ٠٨٥ ٢٦٢ نسمة فى الاحصاء الرسمى عام ١٩٧٩ م ٠ أما فى عام ١٩٨٥ فعددهم ٠٠٠ ٩٥٠ ٢٧٦ نسمة ، ونسبة المسلمين منهم ١٩ فى المائة ، وعلى هذا يقدر عددهم ٠٠٠ ٨٤٥ ٥٢ مسلم فى عام ١٩٨٥م ٠

هذا التقدير الرسمى لايقوم على احصاء عددى للمسلمين فى الاتحاد السوفياتى حسب اعتقادهم فى الاسلام ، وانما هو احصاء لأفراد القوميات المسلمية التى بلغ عددها ٤٣ قومية ، ذلك لأن الحكومة الشيوعية لاتعترف بالأديان ٠ وانما ينحصر اهتمامها بالقوميات وتصنيف أفرادها حسب الانتماء العنصرى واللغوى دون النظر الى معتقداتها الدينية ، علاوة على بعض القوميات التى أكدت السلطات الشيوعية وجودها وأثبتت تعدادها فى احصائية عام ١٩٧٠ مثل العرب والطاليش والبسر من أغفلتها فى احصائية عام ١٩٧٩ م ، كما أن مسلمى اقليم سيبريا وجمهوريات جورجيا وأرمينيا ومورافيا وجوفاش وادمورت وماري لم تبين الاحصائية الروسية عددهم مع أنها كانت اسلامية وبها أقليات مسلمة ٠

لذا فالاحصاء الحكومى لايعكس الرقم الحقيقى لعدد المسلمين الموجودين فى الاتحاد السوفياتى ، وانما يبقى مثل غيره من الدول الشيوعية لغز من الالغاز الذى يبحث عن جواب صحيح يجتهد الباحثون المسلمون فى معرفته على فرض تقديرات تقوم على معطيات تاريخية وجغرافية ودينية ٠ وعلى هذا يقدر الباحثون المسلمون نسبة المسلمين بحوالى ٢٥ فى المائة بدلا من التقدير الرسمى ١٩ فى المائة من اجمالى سكان الاتحاد السوفياتى عام١٩٨٥٠

وقد صرح الحاج محمود كيكى رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس فى الاتحاد السوفياتى عند زيارته لدولة الكويت فى يناير ١٩٨٣ بما يلى : ليس هناك احصاء دقيق لعدد المسلمين فى الاتحاد السوفياتى ، ولكن أستطيع القول أن عددهم يجاوز السبعين مليونا حاليا .

ويتكون مسلمو الاتحاد السوفياتى من ٤٣ قومية تنحصر فى الأصول التركية والايرانية والأيبيرية والمغولية والصينية والعربية ويشكل المسلمون من الاصل التركى نسبة ٨٠ فى المائة من جملة المسلمين والغالبية العظمى منهم سنيون ينتمون الى المذهب الحنفى والداغستانيون وحدهم ينتمون استثنائيا الى المذهب الشافعى وقد بلغ عدد الشيعه الجعفريين حوالى أربعة ملايين شيعى فى عام ١٩٧٩ منهم ٨٥٠ ٠٠٠ ٣ شيعى فى أذربيجان و ١٥٠ ٠٠٠ شيعى فى تركستان الغربية . كما يوجد حوالى ١٠٠ ٠٠٠ اسماعيلى و ٥٠ ٠٠٠ يزيدى و ٥٠ ٠٠٠ بهائى فى الاتحاد السوفياتى .

الاهتمام الغربى بمسلمى الاتحاد السوفياتى :

بناء على معطيات ونتائج الاحصاء السوفياتى لعام ١٩٧٩ يتوقع الباحثون الغربيون أن يصل عدد المسلمين الى ٧٥ مليون نسمة عندما يصل عدد سكان الاتحاد السوفياتى لأكثر من ٣٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ م وسيكون من بين أربعة أو خمسة مواطنين سوفيات مسلما واحدا ، وأن كل ثانى طفل فى الاتحاد السوفيات فى عام ٢٠٠٠ سيكون مسلما .

والواقع ان احصائية عام ١٩٧٩ للاتحاد السوفياتى أظهرت بأن نسبة

وقد صرح الحاج محمود كيكى رئيس الادارة الدينية لمسلمى شمال القفقاس فى الاتحاد السوفياتى عند زيارته لدولة الكويت فى يناير ١٩٨٣ بما يلى : ليس هناك احصاء دقيق لعدد المسلمين فى الاتحاد السوفياتى ، ولكن أستطيع القول أن عددهم يجاوز السبعين مليونا حاليا .

ويتكون مسلمو الاتحاد السوفياتى من ٤٣ قومية تنحصر فى الأصول التركية والايرانية والأيبيرية والمغولية والصينية والعربية ويشكل المسلمون من الاصل التركى نسبة ٨٠ فى المائة من جملة المسلمين والغالبية العظمى منهم سنيون ينتمون الى المذهب الحنفى والداغستانيون وحدهم ينتمون استثنائيا الى المذهب الشافعى وقد بلغ عدد الشيعه الجعفريين حوالى أربعة ملايين شيعى فى عام ١٩٧٩ منهم ٣ ٨٥٠ ٠٠٠ شيعى فى أذربيجان و ١٥٠ ٠٠٠ شيعى فى تركستان الغربية . كما يوجد حوالى ١٠٠ ٠٠٠ اسماعيلى و ٥٠ ٠٠٠ يزيدى و ٥٠ ٠٠٠ بهائى فى الاتحاد السوفياتى .

الاهتمام الغربى بمسلمى الاتحاد السوفياتى :

بناء على معطيات ونتائج الاحصاء السوفياتى لعام ١٩٧٩ يتوقع الباحثون الغربيون أن يصل عدد المسلمين الى ٧٥ مليون نسمة عندما يصل عدد سكان الاتحاد السوفياتى لأكثر من ٣٠٠ مليون نسمة عام ٢ ٠٠ م وسيكون من بين أربعة أو خمسة مواطنين سوفيات مسلما واحدا ، وأن كل ثانى طفل فى الاتحاد السوفيات فى عام ٢٠٠٠ سيكون مسلما .

والواقع ان احصائية عام ١٩٧٩ للاتحاد السوفياتى أظهرت بأن نسبة

تزايد المسلمين فيما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ كانت ٢ر٢٣ فى المائة مقابل نسبة تزايد الروس ٥ر٦ فى المائة فقط . وبلغ نسبة النمو السكانى العام ٩٢ر . فى المائة فى السنة الواحدة . وكانت نسبة تزايد المسلمين ١٧ر٢ فى المائة مقابل نسبة تزايد الروس ٧ر. فى المائة فى العام خلال تلك الفترة .

هذا التزايد العددى للمسلمين مع فشل كافة السبل والمخططات على ترويسهم واخراجهم من عقيدتهم الاسلامية ، بالرغم من العنف الشيوعى والممارسات الوحشية لاستئصال الاسلام ، بدأ يثير مخاوف الجهات المعادية للاسلام فى الشرق والغرب . ويؤكد الباحثون الغربيون وغيرهم بأن المسلمين سيكون لهم تأثير قوى فى الحياة السياسية للاتحاد السوفياتى فى المستقبل القريب ذلك لأن عدد الاشخاص ذات الاصول الاسلامية يزدادون بسرعة فى مواقع المسئوليات الحزبية والحكومية العليا . ويعتقدون بأن هذا قد يؤدى الى تفجير الامبراطورية السوفياتية الى دول اسلامية ، أو اتجاهها بكاملها الى اتجاه اسلامى ، مثلما حدث لامبراطورية حنكيزخات التى تحولت الى دول اسلامية فى الشرق والغرب ، وخاصة أن الشعوب الاسلامية فى الاتحاد السوفياتى ذات طموحات كبيرة فى اتجاه الحكم المركزى ، وهى شعوب تختزن تاريخ الشرق بأكمله وتتحدث عن انحطاط ثقافة الغرب وتضعها فى نف المستوى مع الروس ، وهؤلاء المسلمون حملة حضارات عظيمة ، وفى الوقت ذاته يتمتعون بمستوى عال من التطور العلمى والتقنى ، وان الآمال الطموحات كامنة فى نفوسهم تبدو مع تمسكهم بالاصول الاسلامية ، وتنتهز الفرصة لقيادة حضارتها الاسلامية أو الاستقلال بها .

وينعكس التزايد العددى للمسلمين بصفة كبيرة فى ميدان القوى العاملة والمنتجة فى الاتحاد السوفياتى ، الا أن الاختصاصين فى الشئون العسكرية

يشيرون الى خطر اصفرار الجيش حيث يقدر الخبراء أن نسبة هؤلاء الآسيويين ستبلغ ٤٠ فى المائة من مجموع الجيش السوفياتى مع نهاية هذا القرن .

والخوف الذى يساور الدوائر الاستعمارية فى الشرق والغرب هو أن يحدث تلاحم بين مسلمى الاتحاد السوفياتى واخوتهم فى العالم الاسلامى فى تكوين اتحاد ووحدة اسلامية أو تعاون عملى فى المستقبل يهدد كيان الدول الرأسمالية والشيوعية معا ، ويقول الكاتبان الفرنسيان الكسندربيقش وشانتال لمرسيه بملكجيه

Alexandre Bennigsen et Chantal Lemercier-Quelquejay: Les Musulmans Oublies: L Islam en Union Sovietique, Paris 1981, P. 74

ولابد أخيرا من أن نأخذ بعين الاعتبار أن اكثرية القوميات الاسلامية السوفياتية لاتنحصر جغرافيا داخل حدود الاتحاد السوفياتى بل لها امتداداتها خارج هذه الحدود حيث تقيم جماعات من أصول عرقية واحدة وتتكلم اللغة نفسها وتملك ثقافة أدبية وتقاليد تاريخية مماثلة وهى كلها جوامع مشتركة أساسية لايمكن أن تفرق بينها حدود جغرافية رسمت اعتباطا فى الأزمنة الحديثة .

وانطلاقا من هذه الحقائق تزايد الاهتمام الغربى ببحث ودراسة أحوال المسلمين فى الاتحاد السوفياتى وعقدت ندوات ومؤتمرات فى كثير من الجامعات فى أوروبا وأمريكا حتى أن جامعة تل أبيب فى الكيهان الصهيونى عقدة ندوة بعنوان الاتحاد السوفياتى والعالم الاسلامى فيما بين ٢٨ ـ ٣٠ ديسمبر ١٩٨٠.

وقد ظهرت دراسات وبحوث عديدة أهمها :

١ ـ الامبراطورية المتفجرة

1. Helene Carrere d'Encausse: L'Empire Ecalte, Flammarian, Paris 1979, pp. 313

2. Alexandre Benniqsen and Marie Broxup: The Islamic Treat to the Soviet State, Croom Helm, London, 1983, PP. 170.

ولاتزال كثير من البحوث والندوات تتمفى المراكز العلمية فى الغرب حتى اليوم وتهدف الى تحذير الاتحاد السوفياتى من انبعاث حركة اسلامية وتجدد النشاط الاسلامى للمسلمين كما ترمى الى وضع استراتيجية خاصة وسياسة عامة لصد ماقد يحدث فى المستقبل من عمل اسلامى . ولكن مع الاسف نجد الميدان الاسلامى خال عن مثل هذه الدراسات التى تهدف الى التحليل والبحث من منظور اسلامى للاستفادة من المعطيات فى وضع سياسة عملية . تخدم المد الاسلامى والتوعية الدينية واعلاء كلمة الله عز وجل .

فى الحقيقة يقف مجلس الكنائس العالمى والتنظيمات الصهيونية وراء هذه الدراسات لمطالبة الاتحاد السوفياتى والهيئات المسيحية العالمية على تكثيف النشاط التنصيرى ، لان المسلمين فى الاتحاد السوفياتى لايشكلون تهديدا للاتحاد السوفياتى فحسب بل سيكون تهديدهم لدول الغرب اكبر حدث ان سيطر هؤلاء المسلمين على زمام القيادة فيها مع مرور الزمن الذى يسير فى صالحهم .

وقد يجهل المسلمون نشاط البعثات المسيحية فى الاتحاد السوفياتى بحجة ان الشيوعية تحارب جميع الاديان بدون استثناء ، ولكن الملاحظ ان الاسلام هو الدين الذى يستهدفه الشيوعيون ويتعاونون مع المسيحين والصهيونيين

لمحاربته فقد جاء فى بحث ( تاريخ آسيا الوسطى ) المنشور فى مجلة اذربيجان الصادرة بعدد ٢٤٢ فى عام ١٩٧٧ فى انقرة :

بان الكنيسة الارثوذكسيه فىالاتحاد السوفياتى تتفق اتفاقا ما فى اضطهاد الاسلام والمسلمين وتؤيد بقوة وصف الشيوعية للاسلام بانه دين عنف ورجعية . اما الكاتب الفرنسى بيير روس عضو رابطة الكتاب والمؤلفين الفرنسيين واحد المهتمين بشئون الشرق العربى دينا وثقافة فيقول بعد زيارة قام بها مع رفاقه للاتحاد السوفياتى عام ١٩٧٦:"ان المسيحية المنتشرة بمذهبها الارثوذكسى لاتتعارض مع الشيوعية ويمكن للمرء ان يكون مسيحيا وشيوعيا وعضوا عاملا فى الحزب الشيوعى فى آن واحد . وان فئات العسكريين والمدنيين المسئولين البارزين يذهبون الى الكنيسة لحضور الطقوس الدينية وفى الوقت الذى يمكن للمرء ان يجمع بين المسيحية والشيوعية وتولى المسئولية من أى مستوى كان . فانه لايمكن للمسلم الا ان يكون شيوعيا فقط، ويرغم على التنكر لدينه . وقد قال المفتى الشيخ على شكور باشازاده رئيس بعثة حج مسلمى الاتحاد السوفياتى لعام ١٤٠٣ للامين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامى بأن البعثات المسيحية تعمل على تنصير المسلمين بكل الوسائل فى الاتحاد السوفياتى ولانرى وجودا لبعثات ونشاطات اسلامية تحمى المسلمين ."

والغريب المؤلم ان الهيئات المسيحية ترجمت الانجيل الى كل اللهات الاسلامية المتداولة فى الاتحاد السوفياتى وتقوم بتوزيعها بشتى الطرق على المسلمين فى حين لاتتوفر ترجمة واحدة لمعانى القرآن الكريم معتمدة اسلاميا باللغة الروسية او باحدى اللغات الاسلامية التى تكتب بالابجدية السلافية المستعملة حتى اليوم. ناهيك عن الكتب الاسلامية الاخرى ، وفى الوقت الذى لاتزال

مساجد المسلمين مغلقة ، قام المسيحيون ببناء كنيسة فى المانيا بجمهورية قازقستان الاسلامية عام ١٩٨٢ . وتقول مجلة فوكاس FOCUS الصادرة فى لندن بعددها ١٩٨٣/١٠ . بسبب النمو السريع للاسلام فى الاتحاد السوفياتى فان الاهتمام المسيحى بتنصير المسلمين هناك قد تعاظم . والتزمت الهيئات المسيحية بزيادة البث الاذاعى والترجمة وطبع وتوزيع الكتب . واذاعة الشرق الاقصى تبث برامج روسية الى المناطق الاسلامية التى يكثر فيها التتار فى سيبيريا الغربية واوروبا الشرقية السوفياتية ، وتبث اليها برامج الانجيل ليليا ، حيث تبث الاذاعة من محطاتها الاربعة القوية فى مانيلا وكوريا وسايبين وسان فرانسيسكو مواضيع تنصيرية بتسعين لغة لمدة واحد وعشرين ساعة يوميا للاتحاد السوفياتى ، والى جانب اذاعة الشرق الاقصى فان راديو صوت امريكا وراديو اوروبا الحرة واذاعتى الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى تبث برامج باللغات الاسلامية المختلفة لمسلمى الاتحاد السوفيات فى شتى المواضيع التنصيرية والسياسية .

وفى نشرة للاذعة البريطانية فى ٢٥ ابريل ١٩٨٥ ميلادية بأن الولايات المتحدة الامريكية تخطط لاقامة محطة اذاعة قوية فى الشرق الاوسط لارسال برامج معادية للاتحاد السوفياتى وان الرئيس الامريكى رونالد ريجان اشار فى اجتماع العاملين فى الاذاعة لاهمية البرنامج الذى يبثه راديو صوت امريكا بعنوان الدين حياتنا ، ست مرات اسبوعيا للاتحاد السوفياتى . وامر بأن يكون من واجبهم استمرار وزيادة مثل ذلك البرنامج .

## الاســـلام والاستعمـــار الروســـى :

قد لا يتسع هذا المجال فى الحديث عن تاريخ الشعوب والبلاد المسلمـــة فى الاتحاد السوفياتى ، فهو مضوع متشعب وبحث طويل ، ويتطلب كل بلد مسلـــم فيه الى دراسة كاملة ، ولكن نستطيع ان نقول بان ثلث مساحة الاتحـــــاد السوفياتى هى أراضى اسلامية تضم عددا من البلدان المسلمة مثل تركستـــان واذربيجان والقريم وحوض الفولفا والقفقاس وسيبيريا ممن كان لهـــا دورا بارزا فى ميدان الحضارة والثقافة الاسلامية والعربية وكانت بخـــــارى وسمرقند وخوارزم من مراكز التعليم الاسلامى فى القرون الماضية .

ومع اتساع الرقعة الاسلامية وتعداد البلدان المسلمة فى الاتحـــــاد السوفياتى يتباين تاريخ دخل الاسلام ويختلف اسلوب انتشاره هناك ، فالفتوحات الاسلامية فى عهد امبر المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصلت الـــى اذربيجان عام ١٨هـ / ٦٣٨ م ومنها الى ارمنيا وجورجيا وشمال القفقـــاس عام ٢٤ هـ / ٦٤٤م ، كما وصل الفتح الاسلامى الى تركستان مع قدوم الاحنـــف بن قيس الى هراة عام ٢٣ هـ / ٦٤٣م . ثم توطـد الحكم الاسلامى فـــى تركستان خلال ولاية قتيبة بن مسلم الباهلى على ماوراء النهـــر فيما بين ٨٦ ـ ٩٦ هجرية ، وفى اواخر الخلافة العباسية قامت فى تركستـــان دويلات الغزنويين والسلاجقة والقرة خانيين والخوارزميين ساعدت فى انتشـــار الاسلام فى آسيا الوسطى . كما كان لجهود افـــراد المسلمين من التجار ورجـال القوافل والصوفييـن فضـل فى التبشير بدين اللـه عز وجـل فى المدن التى ينتقلون بينها على طول طريقى التجارة الدوليين ، همـــا طريق الفراء من الجنوب الى الشمال على طول نهر الفولفا ، وطريق الحرير مـــن

الغرب الى الشرق اى من البحر الاسود حتى الصين • ووصل بهم الاسلام الى مملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولغا وبلاد الخزر شمال بحر قزوين • وقد سجل المؤرخ المشهور احمد بن فضلان رحلته التى قام بها بأمر الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١م الى بلاد البلغار بطلب من ملك البلغار المسلم ألمش بن يلطور فى ايفاد بعثة اسلامية الى بلاده •

وخلال الاجتياح المغولى لدول العالم الاسلامى كان معاناة المسلمين فى تركستان عظيما وقد غزا المغول بلاد البلغار والخزر وحطم الامير باطو بن جوجى حفيد جنكيزخان دولة الكيف الروسية عام ١٢٢٦م ، حيث اسس دولة التون اورده فى القسم الغربى من امبراطورية جنكيزخان الذى ضم روسيا وبولندا واجزاء من اوكرانيا وقد اسلم بركة خان بن جوجى حفيد جنكيزخان الثانى الذى خلف اخاه فى ملك دولة التون اورده ، فيما بين ١٢٥٦ – ١٢٦٧ وهو اول امير مغولى يدخل فى الاسلام وتبعه فى ذلك افراد القبيلة الذهبية لم يمضى وقت طويل حتى غدى المغول التتار مسلمين ينشرون الاسلام فى اجزاء كثيرة من اوروبا الشرقية التى امتدت سيادتهم اليها وتشمل حوض الفولغا وسهول اوكرانيا وشبه جزيرة القويم واجزاء فى بولندا ولثيوانيا والمجر وبقاعا على سواحل بحر البلطيق فى فنلندا ، وسيبيريا الغربية فى الشرق الاسيوى حيث اصبحت مدينة سيبير والتى اخذ منها اسم سيبيريا عاصمة اسلامية •

واستمر حكم دولة التون اورده اكثر من قرنين غزاها تيمور لنك عام ١٣٩٥ (١٩٣٥)م ثم تعرضت الى حروب وفتن داخلية بعد موت اديكو عام ١٤١٩م مما ادى الى تمزق المملكة الى خانيات مستقلة فى قازان واستراخان والقزيم وسيبيريا ، اما

بقية دولة التون اورده استطاعت ان تحتفظ بسيادتها فى اىرقليم القائم شرقى بالاستناد الى المعادات التى عقدها مع دولة الموسكوف والمعادات التـــــى ابرمتها مع بولندا وليتوانيا عام ١٤٦٦م ٠

استفادت امارة موسكو التى كانت خاضعة لدولة التون اورده من الحروب التى نشبت بين امراء التون اورده للاستيلاء على الحكم ، بالاضافة الـــى ان رجال الكنيسة الاثوذكسية بعد سقوط معذلهم القسطنطينه بيد الاتـــــــراك العثمانيين عام ١٤٥٣ اتجه املهم لانقاذ مكانة المسيحية فى شروق اوروبا الى امارة موسكو التى حظيت بالتأييد والمؤازرة القوية منهم ، واعلن اميرهـا فاسيلى الثالث استقلال الامارة عن دولة التون اورده ورفض دفع الجزية السنوية اليها ٠ فسار الملك احمد خان لاخذ الجزية وتأديب الامير الموسكو فى عـــام ١٤٨٠ بيد ان عزو خانية القريم لاملاك دولة التورن اورده ، اجبر الملك احمـد خان على التراجع ، وادى الى استقلال امارة موسكو عن ملوك التتار المسلميـــن ثم تمكن ايفان الرابع امير موسكو من اقضاء على دولة التون اورده التى كان مركزها فى سراى عام ١٥٠٢ م ومع هذا التاريخ بدأ التدهور الحقيقى لدولـــة التون اورده وهى الدولة الاسلامية الوحيدة التى قيض الله لها ان تحكم روسيا بالفعل لمدة تزيد عن ٢٥٠ سنة وهى فترة هامة فى تاريخ روسيا وبولنـــــدا وليتوانيا واكرانيا ، وتوطد الاسلام الذى كان العامل الحاسم فى استمرارهـــا فى الاراضى التى يضمها الاتحاد السوفياتى حاليا ٠

وبعد عام ١٥٠٢م بدأت سلسلة الهزائم تلحق بالدول الاسلامية فى اوروبا الشرقية وغرب آسيا بسبب الخلافات والحروب التى نشبت بينها واستغلهـــــا زعماء الصليبيين الحاقدين واللاجئين فى امارة موسكو بعد سقوط القسطنطينيـــة

عاصمة الامراطورية الرومانية وتقدم الجيوش العثمانية الاسلامية فى وسط اوربا على تجميع قواهم المنهوك واسترداد كيان الامبراطورية المنهارة فى قيام الامارة الروسية الارثوذكسية فى موسكو ثم دفعها لشن حروب صليبية ضد البلدان الاسلامية .

وبدأ القيصر الموسكوفى ايفان الرابع الذى لقب بالرهيب لكثرة ماقتل من المسلمين بغزو خانية قازان وبلاد الجوفاش والموردوف وماری ١٥٥٢ ثم خانية استراخان ( الحاج توره خان ) وبلاد الباشغرد عام ١٥٥٧ وبلاد الادمورت عام ١٥٦٠م ومع نهاية القرن السادس عشر الميلادى تمكن من استعمار حوض نهر الفولفا الذى تشير اليه المؤلفات والاناشيد الوطنية الروسية بأنه " النهر الروسى العظيم" مع انه لايزال الى اليوم يعتبر اسلاميا وتتريا من حيث السكان .

وبعد ان استولت روسيا على سيبيريا الغربية على اثر هزيمة ملكها المسلم كوجم خان فى معركة حول العاصمة سيبير عام ١٥٩٨م اتجه الروس الى دولة شبه جزيرة القريم الاسلامية التى كانت تبسط سيادتها على اجزاء كبيرة من اوكرانيا ودخلت فى حروب مع الامبراطورية العثمانية حول القريم انتهت باحتلال الروس لها عام ١٧٨٣م .

اما فى الجنوب الشرقى فقد اتجه الروس الى القفقاس فاستولت الجيوش الروسية بلاد الكباردو والاوسيتين . وفى عام ١٨٠١م قضت روسيا على مملكة جورجيا بعد ان كانت تحت حمايتها منذ عام ١٧٨٣م ثم استولت روسيا على اذربيجان الشمالية وشبه جزية باكو عام ١٨١٣، كما احتلت على ارمينيا عام ١٨٢٨ ثم ضمت بلاد الابخاز والاباظة والغور . وطيلة النصف الاول من القرن التاسع عشر استمرت الشعوب المسلمة على الطرفين الغربى والشرقى من سلسلة

جبال القفقاس فى مقاومة الغزو الروسى بمنتهى العنف ولم يتم اخضـــــاع الداغستانيين والششينيين بصورة نهائية الابعد هزيمة الامام شامل فى عـــام ١٨٥٩ والشراكسة عام ١٨٦٤م ٠

خلال التوسع الروسى نحو سيبيريا تغلغلت القوات الروسية الى سهـــول القازاق فى تركستان وتمكنت من اسقاط الخانيات الاربع والاستيلاء عليها مـــع عام ١٨٤٢م ثم اتجهت اطماعهم الى الجنوب من تلك السهول حيث مناطـــــق تركستان المأهولة وهى ذات حضارة وثقافة ، تتقاسمها خانيات متصارعـــة ، وكانت العلاقة بين روسيا وامراء هذه الخانيات سيئة فقررت الحكومة الروسية ضمها اليها فى عام ١٨٦٠م وبرر وزير خارجيتها ذلك العمل بضرورة تأميـــن حدود روسيا فى مذكرة وجهها عام ١٨٦٤ الى الحكومات الاوربية الكبرى فـــى ذلك الوقت وقـال :

" كلما حصل اتصال او احتكاك بين دولة متمدنة وشعوب بربرية ، فـلا مناص للدولة المتمدنة من توسيع حدودها باستمرار لكى تحمى رعاياها وتقمع الغزو ٠ "

وقد اعتبرت الدول العظمى هذه الحجة معقولة تماما فى ذلك الزمن ومتفقـة مع ماتمارسه كل منها ٠ وهكذا استولى الروس على تاشكند عام ١٨٦٥ وصـارت عاصمة آسيا الوسطى وفى عام ١٨٧٣م فرض الروس على خانيتى خيوه وبخـــارى معاهدات نصت على اخذ اراضى وتعويضات مالية منها ووضعت ماتبقى لهما مـــن الاراضى تحت الحماية الروسيه وفى عام ١٨٧٦ ادمجت خانية خوقند فـــــى الامبراطورية الروسية ثم احتلت روسيا بلاد التركمان عام ١٨٨٤م واكتمـــل الغزو الروسى لبلاد تركستان الغربية بالوصول الى هضبة باميير عام ١٨٩٥٠

وهكذا توسعت امارة موسكو فى خلال ٤٣٠ سنة حتى صارت امبراطورية روسية شاسعة لامثيل لها فى الامتداد الجغرافى . اما الوسائل التى اتبعتها الامارة فى التوسع لااستعمارى فلم تكن فريدة من نوعها اذ كل نوع من اساليب الغزو والاستعمار فى تاريخ الدول الاوربية والامريكية وجد له مثيلا فى اساليب روسيا .

المسلمون والتصنيف الروسى الادارى والقبلى :

بعد ان استولى الشيوعيون على زمام السلطة فى روسيا ، اعاد الجيش الاحمر الروسى سيطرته الاستعمارية على الدول الاسلامية التى استطاعب تكوين حكوماتها الوطنية خلال الثورة الشيوعية . ثم عمد الروس الى تقسيم الاراضى والبلدان المسلمة الى وحدات صغيرة تقوم على مفاهيم قبلية وافتراضات لغوية وحركات سياسية لاتستند فى كيانها على قواعد واسس واضحة ، اذ قام التقسيم بفصل جزء من بلاد شعب معين والحاقة بوحدة ادارية أخرى واستحداث وحدات ادارية ضمن كيان وحدة سياسية معينة وابقاء مجموعة من المواطنين الاصليين فى خارج مناطقهم الاسلامية . ثم تهجير شعوب بأكملها من مواطنها الاصلية الى مجاهل سيبيريا وغيرها من المناطق النائية ، مثلما حدث لشعب شبه جزيرة القريم المسلم فى عام ١٩٤٤ وشعبى الششن والانيغوش المسلمين ومسلمى قرة جاى فى عام ١٩٤٥. ويهدف الشيوعيون الى خلق أقليات مسلمة فى عقر دارها . كما ترمى الى تزكية النعرات الطائفية والقبلية وايهام المسملمين بان الاستقرار والازدها لايتمان الا بالاعتماد على الحكومة الورسية والشعب الروسى .

ونظام القوميات الذى استحدثه الروس لايخضع لنظام ادارى موحد ولاتعامل القوميات بطريقة متساوية . فدرجة الحكم الذاتى الممنوحة لكل منها

تتناسب مع المركز الذى تحتله فى السلم الذاتى المزدوج الذى تقرره اعلى مستويات الحكم فى الاتحاد السوفياتى وهذان السلمان الذى جرى اعتمادهما كالاتى :

الاولى ذاتية :

تنطلق من التجميع البشرى لكل فئة وتطوره التاريخى ومستواه الثقافى ووفقا لهذا المقياس يميز بين امة وقومية واقلية . وعلى هذا الاساس هناك ١٤ شعبا مسلما صنفهم النظام السوفياتى امما اسلامية ، و١٦ مجموعة بشرية مسلمة صنفت على انها قوميات مسلمة ( ١٣ مجموعة بشرية مسلمة صنفت على انها اقليات .

الثانية موضوعية :

تقوم على تقسيم وتصنيف الاقاليم والمناطق التى قطنها المسلمون وتحديد اوضاعها التشريعية والادارية . وعلى هذا السلم يوجد اربعة مراتب تتميز الواحدة عن الاخرى بزيادة درجة الحكم الذاتى . والمراتب الاربعة وما يشتمل كل واحدة من الوحدات الادارية تأتى كالاتى :

المرتبة الاولى :

تحتلها ست جمهوريات اشتراكية سوفياتية اسلامية تتصف بانها فيدرالية وتتميز بان لها حدود مشتركة مع دولة اجنبية فى خارج الاتحاد السوفياتى وتأتى فى هذه المرتبة كل من :

١ ـ جمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفياتية :

تشكلت بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٢٠ فى الجزء الشمالى من اذربيجان الذى تحتله روسيا ، لان الجزء الجنوبى منه فى ايران ، كانت مساحة

جمهورية اذربيجان السوفياتية ٩٤١٣٧ كم٢ فى ١٩١٩م . ثم اقتطعت منطقتى قاريازى وبورجالى وادمجتا فى جورجيا ، كما الحق اقليمى القازاق وزنكيزور الى ارمنيا واصبح مساحتها الان ٨٦٦٣٠ كم٢ عاصمتها باكو على بحر قزوين .

وقد بلغ سكان جمهورية اذربيجان ٠٠٠ ٠٢٨ ٦ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ ويقدر نسبة المسلمين منهم ٨٢فى المائة وهم من الاذاريين والداغستانيين والتتار المسلمين والباقى من الروس والاوكرانيين والارمن المهجرين اليها .

كانت اذربيجان قبل الحكم الشيوعى تضم ٠٠ ٢ مسجدا و ٧٨٦ مدرسة قرآنية اما فى الوقت الحاضر فهناك ١٦ مسجدا مفتوحا .

٢ - جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفياتية :

تقع فى الجنوب الغربى من تركستان الغربية على حدود افغانستان وقد تأسست فى ٢٧ اكتوبر ١٩٢٤ على اثر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى بتاريخ ١٩٢٤/١٠/١٨ بالغاء جمهورية تركستان السوفياتية وانشاء جمهوريات لبلاد القازاق والقير غيزوالا وزبك الوتاجيك والتركمان ضمن نطاق جهوريات اسيا الوسطى السوفياتية .
تقدر مساحة اوزبكستان ٤٤٩٦٠٠ كم٢ وبلغ سكانها ٠٠٠ ٣٩٠ ١٥ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩م ونسبة المسلمين منهم ٨٨ فى المائة وهم الاوزبك وقرة قلباق والتتار والقازاق والتاجيك واقيرغيز والتركمان اما غير المسلمين فهم من الروس والكريين والاوكرانيين المهجرين اليها .

تاشكند عاصمة الجمهورية ومن مدنها المشهورة فى الاســـــــــــلام سمرقند وبخارى ويبلغ عدد المساجد المفتوحة حاليا ١١٢ مسجد وجامعا، كما توجد مدرسة ميرغرب الاسلامية فى بخـارى ومعهد الامام البخـــارى فى كاكشنـــد .

٣ ـ جمهورية تاجيكستان الاشتراكية السوفياتية :

تقع فى جنوب تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود افغانستـــان تأسست فى البداية باسم مقاطعة تاجيكستان ذات الحكم الذاتى كجـــزء من جمهورية اوزبكستان فى ١٤ اكتوبر ١٩٢٤ وبعد ان الحقت اليهـــا اقليمى خجند وبدخشان فى هضبة بامير تحولت الى جمهورية تاجيكستـــان ذات الحكم الذاتى التابعة لاوزبكستان فى ١٥ مارس ١٩٢٥ . ثم قـــررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ١٢ يناية ١٩٢٩ فصلها تماما عـــن اوزبكستان وفى ٥ ديسمبر ١٩٢٩ اعلنت بانها جمهورية تاجيكستـــان الاشتراكية السوفياتية الفيدرالية .

وتقدر مساحة تاجيكستان ٠٠٠ ١٤٣ كم٢ وعاصمتها دوشنبه ويبلـــغ عدد سكانها ٠٠٠ ٨٠١ ٣ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ . ونسبة المسلمين منهم ٨٦ فى المائة وهم التاجيك والاوزبك والتتار والقيرغيـــز ، ويتشكل غير المسلمين من الروس والاوكرانيين واليهود المهجريـــن ونسبة الروس ٥ر١٠ فى المائة من سكان الجمهوريـة .

٤ ـ جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية :

تقع فى جنوب شرق تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود ايـــــران تأسست هذه الجمهورية التى عاصمتها عشق آباد ( اشخباد ) فـــــى ٢٧ اكتوبر ١٩٢٤ وتقدر مساحتها ١٠٠ ٤٨٨ كم ٢ ويبلغ سكانهـــــا ٠٠٠ ٧٥٩ ٢ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ ، ونسبة المسلمين منهـــــم ٨٣ فى المائة من التركمان والاوزبك والقازاق والتتار والاذاريين ، أما غير المسلمين فهم الروس والاوكرانيون والارمن المهجرين ونسبـــة الروس ٦ر١٢ فى المائة من اجمالى سكان الجمهورية ٠

وتضم تركمانستان مدن مرو وسرخس وبيهى ونسا وشهرستان وامـــــل وغيرها من المدن التى اشتهرت بدورها فى الحضارة الاسلامية ، ومـــع ذلك توجد فى تركمانستان حاليا اربعة مساجد مفتوحة ٠

٥ ـ جمهورية قازقستان الاشتراكية السوفياتية

تقع فى شمال تركستان الغربية باسيا الوسطى على حدود جمهوريـــة منغوليا وتركستان الشرقية بالصين العشبية ٠ وهى ثانى اكبـــر جمهورية فى الاتحاد السوفياتى اتساعا اذ يقدر مساحتهـــا ٨٠٠ ٧٥٣ ٢ كم٢ وبلغ سكانها ٠٠٠ ٦٨٥ ١٤ نسمة فى احصاء عـــام ١٩٧٩ اكثرهم من المهجرين الروس والاكورانيين اليها مما ادى الى انخفـــاض نسبة المواطنين المسلمين الى ٤٢ فى المائة وهم من القازاق والتتار والاوزبك والاويفور والدونفان والاذاريين المسلمين ٠

تأسست هذه الجمهورية بالشكل النهائى فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ وعاصمتها الماتا ومن مدنها المشهورة قزيل اورده وجمبوك وجيمكنت وفى كل منها مسجد واحد مفتوح .

٦ - جمهورية قيزغيزستان الاشتراكية السوفياتية :

ظهرت هذه الجمهورية بشكلها الحالى فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ وتقع فى الجزء الشرقى من تركستان الغربية فى اسيا الوسطى على حدود تركستان الشرقية بالصين الشعبية وتبلغ مساحتها ٥٠٠٠ ١٩٨ كم٢ اما سكانها فقد بلغ ٠٠٠ ٨٠١ ٣ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ ونسبة المسلمين منهم ٦٦ فى المائة من القيرغيز والاوزبك والتتار والاويغور والقازاق والتاجيك المسلمين ويشكل الباقى الروس والاوكرانيين المهجرين اليها وتبلغ نسبة الروس ٢٦ فى المائة ، وقد سميت عاصمتها فرونزه باسم القائد الروسى الذى احتل قيرغيزستان مع أن اسمها الوطنى بشبك .

ثانيا :

يضم الاتحاد السوفياتى عشرين جمهورية تتمتع بالحكم الذاتى منها عشر جمهوريات اسلامية هى :

١ - جمهورية تتارستان الذاتية الحكم :

تكونت فى ٢٧ مايو ١٩٢٠ وتقع فى الحوض الاوسط لنهر الفولفا وفى حوض رافده نهر كاما وتبلغ مساحتها ٦٨٠٠٠ كم٢ وبلغ عدد سكانها ٠٠٠ ٤٣٦ ٣ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ ونسبة المسلمين منهم ٤٨ فى المائة من التتار والباشكير المسلمين ، يتدفق المهاجرون الروس الجدد

اليها مما يعنى سرعة ترويس هذه البلاد الاسلامية حيث تبلغ نسبة العنصر الروسى ٥١ فى المائة .

تمثل تتارستان التى تتخذ قازان عاصمة لها المعقل الاسلامى الاكثر قربا من القطب الشمالى وبالتالى من موسكو ، وهى تابعة لجمهورية روسيا يعيش اكثر من ثلاثة ارباع التتار فى خارج جمهوريتهم ، فهم ينتشرون فى كل جمهوريات الاتحاد السوفياتى وهم الشعب التركى والمسلم الوحيد الذى تحول منذ سقوط دولتهم فى ١٥٥٢م الى شعب متفرق اضطر الى الهروب من وجه النظام الروسى ويبلغ مجموع التتار فى كل اراضى الاتحاد السوفياتى ٤٠٠٠ ٣١٧ ٦ نسمة فى عام ١٩٧٩ .

٢ - جمهورية بشكيريا الذاتية الحكم :

تقع فى القسم الجنوبى من جبال اورال فى حوض نهر الفولغا ، وقد تكونت فى ٢٠ مارس ١٩١٩ م كجزء من جمهورية روسيا لانها تقع فى شرق اوروبا وتبلغ مساحتها ١٤٣٥٠٠ كم٢ وكان عدد سكانها ٠٠٠ ٨٤٩ ٣ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩ نسبة المسلمين منهم ٥٥ فى المائة من البشكير والتتار والجوفاش وتبلغ نسبة الروس المهجرية ٤١ فى المائة من السكان .

اوفا فى عاصمة بشكيريا وهى مركز الحياة الدينية لمسلمى روسيا الاوربيه منذ القرن الثامن عشر الميلادى . وهنالك مائة مسجد رسمى جمهورية بشكيريا .

٣ ـ جمهورية قاردو ـ بلغار الذاتية الحكم :

تحتل الجزء الاوسط من جبال القفقاس الى الغرب من ممر داريال وقد تكونت فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ تابعة لجمهورية روسيا وتبلغ مساحتها ٥٠٠ ١٢ كم٢ وعاصمتها مدينة نالجيك وعدد سكانها ٠٠٠ ٦٧٥ نسمة فى عام ١٩٧٩م منهم ٠٠٠ ٢٩٦ من غير المسلمين ومعظمهم من الروس اما المسلمين فعددهم ٠٠٠ ٣٧٣ من قبيلة قبرطاى الشركسية وقبيلتى البلغار من اتراك البتجاق فى عا ١٩٤٤ ٠ اتهم الروس البلغار المسلمين بالخيانة والتعاون مع الالمان النازيين وسبوهم سببا جماعيا الى سيبيرنا وتركستان الغربية ٠ لكنهم بعد تبيض صفحتهم ورد الاعتبار اليهم فى ١٩٦٨/١/٩ سمح لهم بالعودة الى وطنهم الاصلى ٠

يوجد فى هذه الجمهورية مسجدان مفتوحان ، احدهما فى العاصمة نالجيك والثانى فى قيزيوروم فى أرض البلغار ٠

٤ ـ جمهورية داغستان الذاتية الحكم :

تقع فى شرقى جبال القفقاس على بحر قزوين وعاصمتها فى الاسلام مدينة دربند المعروفة بباب الابواب ، اما عاصمتها الحالية فهى محج قلعة وقد تأسست فى ٢١ يناير ١٩٢١ كجزء من جمهورية روسيا ومساحتها ٣٠٠ ٥٠ كم٢ وعدد سكانها ٠٠٠ ٦٢٧ ١ نسمة فى عام ١٩٧٩ ، يشكل المسلمون منهم ٣ر٨٥ فى المائة كما يشكل الروس المهجرون اغلبية العنصر الغير مسلم اذ يصل نسبته الى ٦ر١١ فى المائة من مجموع السكان٠ وقبل الحكم الشيوعى كان فى داغستان ١٧٠٠ مسجدا وجامعا ولكن

يوجد اليوم ٢٧ مسجدا مفتوحا كلها فى القسم الشمالى اما فى جنـــوب داغستان فلم يبق اى مسجد مفتوح ٠

٥ ـ جمهورية الششن ـ اينفوش الذاتية الحكم :

تقع على السفوح الشمالية لجبال القفقاس ، وقد تكونت من دمج منطقتى الششن والاينفوش فى جمهوية تتمع بالحكم الذاتى وتتبع جمهورية روسيا فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦م ٠

خلال الحرب العالمية الثانية اتهم الروس مسلمى الششن والاينفـــوش بالخيانة والتعاون مع الالمان النازيين بهدف تحرير بلادهم وفى ٢٣ فبراير ١٩٤٤ نفى كل سكان الششن والاينفوش الى سيبيريا وتركستـــان الغربية ثم الغيت الجمهورية ووزعت أراضيها على جمهوريتى روسيـــا وجورجيا فى ٣ مارس ١٩٤٤ ٠ وبعد مون ستالين أعيد الاعتبار اليهـــم وسمح لمسلمى الششن والاينفوش بالعودة الى ارشاضيهم واحيـــــاء جمهوريتهم فى عام ١٩٥٧ ٠

وتبلغ مساحة هذه الجمهورية التى تتخذ غروزينى عاصمة لها ٠٠٠ ١٩٣كم٢ وبلغ عدد سكانها ٠٠٠ ١٥٥ ١ نسمة ، ويمثل المسلمون منهم ٥ر٦٦ فى المائة ويشكل الروس المهجرون ٢٠ فى المائة من السكان عام ١٩٧٩ ٠

خلال فترة نفى الششن والاينفوش هدم الروس جميع المساجد التى كانـــت موجودة فى هذه البلاد المسلمة ، ثم بفضل جهود المسلمين العائدين الى بلادهم سمحت السلطات السوفياتية بفتح مسجدين فى قرية بريفوردنوى قرب العاصمة غروزينى فى بلاد الششن وقرية سموخوهى فى بلاد الاينفوش فى عام ١٩٧٨٠ ثم فتحت خمسة مساجد جديدة فى قرى نوفى ـ اتاجى ودوبـــاى ـ

بورت واججوى ـ مارتان وزنانسكو واروروس ـ مارتان فى عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ .

٦ ـ جمهورية قرة قلباقستان الذاتية الحكم :

تقع على طول الشاطىء الجنوبى لبحر الارال فى تركستان الغربية بآسيا الوسطى ، وقد تكونت بشكلها الحالى تابعة لجمهورية أوزبكستان فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ . واتخذت نوخوس عاصمة لها .

وتبلغ مساحة قرة قلباقستان ١٦٥ ٠٠٠ كم٢ ، وبلغ مجموع سكانها ٩٠٥ ٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٩ ونسبة المسلمين منهم ٩٥ فى المائة والروس المهجرين نسبتهم ٢ر٣ فى المائة من مجموع السكان .

٧ ـ جمهورية ناخيجيفان الذاتية :

تقع فى ارمنيا على حدود ايران ومع ذلك انشأت جمهورية ذاتية تابعة لجمهورية اذربيجان فى ٩ فبراير ١٩٢٤ على مساحة من الارض تبلغ ٥٠٠ ٥ كم٢ ، عاصمتها ناخيجيفان وقد بلغ سكان ناخيجيفان ٢٣٩ ٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٩ ، يشكل المسلمون الاداريون ٢ر٩٦ فى المائة من السكان .

٨ ـ جمهورية اوستينا الشمالية الذاتية الحكم :

تقع فى شمال القفقاس وقد تأسست فى الجزء الشمالى لبلاد الاوستين فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ جمهورية ذاتية تابعة لجمهورية روسيا ، أما الجزء الجنوبى من بلاد الاوستين فقد الحقت بجمهورية جورجيا . وتبلغ مساحة اوستينا الشمالية ٨٠٠٠ كم٢ وعاصمتها ارجونيكيرزى وسكانها ٥٩٧ ٠٠٠

نسمة منهم ٥٣ ٪ من المسلمين اذ يقدر عددهم بحوالى ٠٠٠ ٣١٦ نسمة ٠

٩ ـ جمهورية ابخازيا الذاتية الحكم :

تقع فى الشمال الغربى على ساحل البحر الاسود ، ومساحتها ٨٦٠٠ كم٢ وعاصمتها سوخوم على البحر الاسود ٠ وقد تأسست فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ م جمهورية ذاتية تابعة لجمهورية جورجيا الاشتراكية ٠

وبلغ عدد سكانها ٩٠٠ ٤٨٦ نسمة فى عام ١٩٧٩ ونسبة المسلمين منهم ٤٥٪ ٠ أما أغلب السكان فهم من الروس المهجرين والارمن والجورجيين ٠

١٠ ـ جمهورية اجارستان الذاتية الحكم :

تقع على ساحل البحر الاسود بين جورجيا وتركيا وعاصمتها باطوم على البحر الاسود ، ومساحتها ٣٠٠٠ كم٢ ٠ وقد أنشات جمهورية ذاتية تابعة لجمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية فى ١٦ يوليو ١٩٢١ ، وبلغ العدد الاجمالى لاجارستان ٠٠٠ ٣٥٥ نسمة ، منهم ٠٠٠ ١٥٠ نسمة من المسلمين فى احصاء عام ١٩٧٩ ٠ وقد كان أغلب الاجاريين مسلمون ولكن الروس أجبروهم على التنصر وأفنى أكثرهم بحد السيف بحجة ميلهم الى الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى ٠

ثالثا : يوجد فى الاتحاد السوفياتى ثمانى مناطق ذات حكم ذاتى ، أربعة منها هى ذات أكثرية اسلامية ٠ وتنحصر حقوق الحكم الذاتى فيها فى استخدام لغة الشعب القومية فى الادارة والتعليم ، طبعا الى جانب اللغة الروسية ٠

١ ـ منطقة اديجا الاشتراكية الذاتية الحكم :

تقع فى شمال وشرق البحر الاسود فى القفقاس وعاصمتها ميكوب وتبلـــغ مساحتها ٧٦٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٤٠٤ ٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٩م ، استعمر الروس منذ نهاية القرن التاسع عشر اراضى شعب الاديج المسلم بحيـــث اصبح هذا الشعب أقلية فى موطنه فهناك ٨٦٤٠٠ اديجى مسلم بنسبة ٤ر٢١ فى المائة بينما الباقون ٦ر٧٨ فى المائة هم من الروس والاكورانييـن والروس البيض والارمن ٠ بيد ان بعض المصادر الاجنبية والاسلامية تقدر نسبة المسلمين بحوالى ٧٠ ٪ من اجمالى السكان ٠

وقد تأسست هذه المنطقة الذاتية تابعة لجمهورية روسيا الاشتراكيـــة السوفياتية فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦م ٠

٢ ـ منطقة قره جاى ـ شركس الاشتراكية الذاتية الحكم :

تقع فى شمال القفقاس وقد أنشئت هذه المنطقة من ضـم منطقـــة قوه جاى ومحافظة الشركس فى ٣٠ ابريل ١٩٢٨ وتتبـع جمهوريـــة روسيا الاشتراكية السوفياتية ٠ وكان ستالين قد نفى شعب قره جـــاى المسلم الى مجاهل سيبيريا فى عام ١٩٤٤م ٠ واعيد تسمية منطقتهـــم باسم منطقة الشركس ذات الحكم الذاتى ، وعند ماقام مجلس السوفيـــات الاعلى بتبرئة هذا الشعب من تهمة التعاون مع النازيين ، اعيـــد لشعب قوه جاى اعتباره فى عام ١٩٥٧ وسمح لهم بالعودة الى موطنهـــم ورجع للمنطقـــة اسم منطقـة قـــوه جاى ـ شركس الذاتية الحكـــم الذاتـــى ٠

تبلغ مساحة هذه المنطقة ٤١٠٠ كم٢ وعصامتها شركسك ويبلغ سكـــــان المنطقة ٣٦٩ ٠٠٠ نسمة ، ويشكل المسلمون الاصليون ٢ر٤٩ فى المائـة من القوة جاى والشركس والابخاز المسلمين ٠

٣ ـ منطقة غورنو ـ بدخشان الاشتراكية الذاتية الحكم :

تقع فوق هضبة البامير ، انشئت فى ٢ يناير ١٩٢٥ منطقة ذاتية ملحقة بجمهورية تاجيكستان الاشتراكية السوفياتية ٠ وتبلغ مساحتها ٦٣٧٠٠٠ كم٢ ، عاصمتها خوروغ وبلغ عدد سكانها ١٢٧٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٩ منهم ١٧٨٠ روسيا فقط واغلب سكان المنطقة من الاسماعيليين الباطنيين اتباع اغا خان ٠

٤ ـ منطقة ناغور ـ قوة باخ الذاتية الحكم :

تقع جبال قوه باخ فى ارمينيا بالقفقاس ، انشئت منطقة ذاتية تابعة لجمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفياتية فى ٧ يوليو ١٩٢٣ وعاصمتها ستبناكرت ومساحتها ٤٤٠٠ كم٢ وقد بلغ عدد سكانها ١٦١٢٠٠ نسمة فـــى عام ١٩٧٩ منهم ٣٧٪ من المسلمين الاذاريين والاغلبية من الارمن والروس ٠

رابعا ـ القوميات الاسلامية المحرومة من تراب وطنى وهى :

١ ـ الاويغور الذين يعيشون فى جمهوريات قازقستان واوزبكستـــــان وغيرغيزستان ويبلغ عددهم ٦١٢ ٢١٠ نسمة فى عام ١٩٧٩ وهـــم من سكان يتى سو التى احتلتها روسيا القيصرية من تركستـــان الشرقية عام ١٨٨٤ م ومن اللاجئين اليها فيما بيـــــــن

١٩٥٩ – ١٩٦٦ هربا من الثورة الثقافية فى تركستان الشرقية .

٢ – الدونغان وهم مسلمون صينيون يعيشون فى شمال قرغيزستان وجنوب قازاقستان وقدم هؤلاء من الصين بين عامى ١٨٧٧ – ١٨٨٤ بعد هزيمة ثورة المسلمين الصينيين ضد الامبراطورية المانشورية وبلغ عددهم فى الاتحاد السوفياتى ٥١ ٦٩٤ نسمة فى عام١٩٧٩.

٣ – الاكراد يتوزعون فى ارمينيا واذربيجان وجورجيا وتركستان الغربية ويبلغ عددهم ١١٥ ٨٥٨ نسمة فى عام ١٩٧٩م وهم من المهاجرين القادمين من ايران وتركيا والعراق فى القرن التاسع عشر الميلادى واكثرهم سنيون احناف واقليات منهم من الشيعة الجعفرية ممن يعبدون الشيطان ويؤلهون على رضى الله عنه .

٤ – تتار القريم كان قبل عام ١٩٤٤ يشكلون امه ويملكون وطنا وهو شبه جزيرة القريم فى البحر الاسود التى سميت جمهورية القيم الاشتراكية الذاتية الحكم فى اكتوبر ١٩٢١ ولكن ستالين اتهم تتار القريم جماعيا بالتعاون مع الالمان ونفاهم بكاملهم الى سيبيريا وقازاقستان فى ظروف مروعة ، مات اكثرهم وخاصة الاطفال والشيوخ فى الطريق وكان عددهم حوالى ٢٣٨٠٠٠ نسمة وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ الغيت الجمهورية رسميا ثم الحقت منطقة القريم بجمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفياتية .

وبعد موت ستالين برئت ساحة التتار من تهمة التعاون والخيانة بموجب قرار المجلس السوفياتى الاعلى فى ٩ سبتمبر ١٩٦٧ م ،

لكن لم يسمح لهم بالعودة الى وطنهم الاصلى الذى استقر فيه الروس والاوكرانيون واصبح الشاطىء اللازوردى للاتحاد السوفياتى. ويبلغ عدد تتار القريم المسلمين ٤٠٦٠٠٠ نسمة فى الاتحاد السوفياتى .

٥ ـ البلوش ويقطنون منطقة مارى فى تركمانستان وقد بلغ عددهم ١٨٩٩٧ نسمة فى عام ١٩٧٩م وهم ينحدرون من بالوش افغانستان وايران المهاجرين الى تركستان الغربية فى اوائل القرن العشرين الميلادى .

٦ ـ الايرانيون الذين ينحدرون من جماعات ايرانية استوطنت تركستان الغربية فى القرون الماضية وقد بلغ عددهم ٣١٣١٣ نسمة فى عام ١٩٧٩ .

٧ ـ الاتراك السخاتيون هم الذين نقاهم الروس من مناطقهم الاصلية فى جورجيا على حدود تركيا الى تركستان الغربية فى شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١٩٤٤ . ولم يرد اليهم اعتبارهم فى ١٩٥٦مثل باقى القفقاسيين المنفيين ولايسمح لهم بالعودة الى وطنهم الاصلى . وفى ٣٠ مايو ١٩٦٨ صدر عن مجلس السوفيات الاعلى قرارا يعلن بان الاتراك تأصلوا نهائيا فى منفاهم، بالرغم ان زعماءهم هم يقدمون طلباتهم الى السلطات السوفياتية برجاء العودة الى بلادهم الاصلية او الهجرة الى تركيا. وقد بلغ عددهم ٩٢٦٨٩ نسمة فى عام ١٩٧٩ .

٨ ـ النور المسلمون وهم الغجر الذين يعيشون حياة التنقل والترحال فى جمهوريتى روسيا وتاجيكستان وعددهم ٢٠٩١٥٩ نسمة فى عام١٩٧٩م.

خامسا ـ البلدان التى حكمها المسلمون ، وتوجد بها اقليات مسلمة من اهلها الاصليين فى الوقت الحاضر ولكن التصنيف السوفياتى لم يوضحها :

١ ـ جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية :

تقع على السفوح الجنابية الغربية لجبال القفقاس وعاصمتها تفليس ومساحتها ٧٠٠٠٠ كم٢ وقد تأسست جمهورية فيدرالية سنة ١٩٢١م ٠

وعدد سكانها ٠٠٠ ٥٠٠ ٤ نسمة ، منهم ١٩ فى المائة مسلمون وعددهم ٠٠٠ ٨٥٥ نسمة ٠

٢ ـ جمهورية ارمنيا الاشتراكية السوفياتية :

تقع فى غربى قارة آسيا على حدود ايران وتركيا وعاصمتها جرنيان ومساحتها ٢٩٨٠٠ كم٢ وقد تأسست جمهورية فيدرالية فى عام ١٩٢٣ ٠

٣ ـ اقليم سيبيريا :

يعتبر اكبر اقاليم العالم مساحة ، فمساحته تزيد على ٠٠٠ ٧٦٥ ١٢ كم٢ ورغم عظم رقعته فهو اقليم يتبع جمهورية روسيا الاشتراكية السوفياتية ٠

وقد كانت سيبير عاصمة اول دولة اسلامية فى سيبيريا الغربية قضى عليها الروس القياصرة فى عام ١٥٨٠ م وبعد الاستيلاء الروسى والشيوعى اصبح الاقليم منفا لكثير من الشعوب والجماعات الاسلامية مثل تتار القريم والفولفا واتراك تركستان الغربية

ومسلمى القفقاس وبهذا تكونت به جاليات مسلمة مهاجرة الى جانب المسلمين ويبلغ عدد سكان سيبيريا ٢٥ مليون نسمة تقريبا وتقدر المصادر الاسلامية نسبة المسلمين ٢٥ فى المائة من اجمالى سكان سيبيريا .

١ - جمهورية جوفاش الذاتية الحكم :

تقع فى الحوض الاوسط لنهر الفولفا وتبلغ مساحتها ١٨٣٠٠٠كم٢ وعاصمتها شبوقسزاى وبلغ عدد سكانها ١٣١٣٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٨٢ ويقدر نسبة المسلمين ٥٨ فى المائة وعددهم ٧٥٨٦٤٠ نسمة تقريبا . وقد تعرض الجوفاش لعمليات التنصير الاجبارية خلال السنوات الاولى للاحتلال الروسى وتظاهرت جماعات منهم باعتناق المسيحية ، ولكن عندما اعلنت الحرية الدينية فى روسية القيصرية عام ١٩٠٥ أعلن جميع الجوفاش اسلامهم وسادت بلاهم نهضة اسلامية قبل الاستيلاء الشيوعى ، وانشئت جمهورية ذاتية الحكم تابعة لجمهورية روسيا فى عام ١٩٢٥ .

٢ - جمهورية موردافيا الذاتية الحكم :

تقع فى الحوض الاوسط لنهر الفولفا جنوب غربى جمهورية جوفاش وتبلغ مساحتها ٢٦ ٢٠٠ كم٢ وعاصمتها سارنساق وبلغ عدد سكانها ٩٨٤٠٠ نسمة وبلغت نسبة المسلمين بحوالى ٥٥ فى المائة من جملة السكان اذ يقدر عددهم ٥٤١ ٢٠٠ نسمة . لقد تعرض مسلموا موردافيا لعمليات التنصير الاجبارية حتى اذا صدر قانون الحرية الدينية فى روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ اعلم الموردافيون

اسلامهم وتأكد تظاهرهم باعتناق المسيحية ، ثم استولى الشيوعيون على بلادهم وتأسست جمهوريتهم الذاتية الحكم ملحقة بجمهورية روسيا فى عام ١٩٣٤ ٠

٣ ـ جمهورية ادمورتيا الذاتية الحكم :

تقع على السفوح الغربية من جبال اورال وهى اكثر المناطق الاسلامية امتدادا نحو الشمال فى الاتحاد السوفياتى وتبلغ مساحتها ١٠٠ ٤٢ كم٢ وعاصمتها ايجفسك وسكانها ١٥٠٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٨٢م ويقدر نسبة المسلمين منهم بحوالى ٦٠ فى المائة فعددهم يصل ٩٠١٨٠٠ نسمة ٠

منذ ان احتل الروس بلادهم عام ١٥٦٠م وهم يجبرون المسلمين على التنصير والارتداد عن الاسلام ، فاضطر الكثيرون منهم على الهجرة والتظاهر بالمسيحية ، وعندما اعلنت الحرية الدينية فى روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ اشهر الادموريتون اسلامهم مع افراد القبائل الوثنية والبدوية النصرانية التى اعتنقت الاسلام بفضل احتكاكهم بالمسلمين ٠ وجن جنون القياصرة لاسلام الادمورت ونشاطهم بحجب عنهم الحرية الدينية ومع ذلك تمكن الادمورت من بناء بعض المساجد ولكن عاد عليهم الاضطهاد مع الحكم الشيوعى الذى حول بلادهم الى جمهورية ذاتية لجمهورية روسيا الاشتراكية السوفياتية فى عام ١٩٣٤ ٠

٤ ـ جمهورية مـارى الذاتيـة الحكـم :

تقع فى الحوض الاوسط لنهر الفولفا وتبلغ مساحتها ٢٣٢٠٠ كـم٢ وعاصمتها يوشكار اولا وسكانها ٠٠٠ ٧١٣ نسمة فى عام ١٩٨٢ م ، وتصل نسبة المسلمين الى ٦٠ فى المائة من اجمالى السكـــان أى أن عددهم يقدر بحوالى ٥٦٤٨٠٠ نسمة ٠ وقد مر المسلمـــون بنفس مراحل التحدى التى مر بها جيرانهم مسلمى حوض الفولفـــا وتأسست جمهورية ذاتية تابعة لجمهورية روسيا فى عام ١٩٣٦م ٠

٥ ـ جمهورية شكالوف ( اوربنورغ ) الذاتية الحكم :

تقع فى القسم الاوسط من حوض اورال وقد عرفت باسم عاصمتهـــا التى تقع على نهر اورال عند التقائه ببعض روافده المنحـــدرة من باشكيريا وتبلغ مساحتها ٠٠٠ ٨٥ كـم٢ وسكانهـــــا ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ نسمة فى عام ١٩٨٢ وتصل نسبة المسلمين الى ٥٣ فـى المائة من مجموع سكانها ويقدر عدد المسلمين منهـــــم ٠٠٠ ٠٦٠ ١ نسمة ٠ وتأسست جمهورية ذاتية تابعة لجمهوريـــة روسيا فى عام ١٩٣٤م ٠

مسلمو الاتحاد السوفياتى فى عهدى القياصرة والشيوعيين :

بعد ان فشل الصليبيون فى حروبهم ومنيت حملاتهم بالهزيمة فى الشرق الاوسط وتقدم الاتراك العثمانيون الى اوروبا بعد سقوط القسطنطينية معقل الامبراطورية الرومانية ومركز المسيحية الارثوذكسيه فى عام ١٤٥٣م التأ زعماء الصليبيين الى امارة موسكو التى اعتنق اميرها فلاديمير المسيحية الارثوذكسية عام ٩٨٨م واجبر كافة الروس لاعتناق المسيحية ، واراد الصليبيون تعويض هزائمهم المتكررة واستعادة ملكهم الزائل بقيام امبراطورية جديدة فى امارة موسكو بدلا من الامبراطورية الرومانية • واصبح امير موسكو قيصرا ومدافعا عن الكنيسة الاثوذكسية • وتجددت الحروب الصليبية فى الشرق لكن ضد المسلمين التتار واستولى الروس على بلادهم وفرض القيصر الروسى ايفان الرابع اعتناق المسيحية على المسلمين وهدم مساجدهم وقتل الكثير منهم حتى لقب بالرهيم او المرعب ، ثم استمر خلفائه من بعده فى اضطهاد المسلمين وحملهم على قبول المسيحية دينا بحجة تحويلهم الى سلاف وروس • وفى عهد القيصرة حلة ( ١٧٣٨ ـ ١٧٥٥ ) اقفلت جميع المساجد فى بلاد التتار وحوض الفولفا الاوسط ، وألغيت الصبغة الدينية من الاوقاف المخصصة للتعليم والاحسان ونقلت ملكيتها الى الدولة وطرد المسلمون من قراهم وفرضت الضرائب الباهظة عليهم ، وصدر أمر يقضى بالموت على كل من يمارس دعوة دينية وأعلن عن اعفاء التتار الذين يقبلون النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية الالزامية • وفى سنة ١٩٠٥ عندما صدر مرسوما قيصريا بالحرية الدينية لمسلمى روسيا القيصرية أعلن جميع المسلمين المنصرين بالضغط الشديد والاكراه عودتهم الى الاسلام وتمسكهم به واتضح فى هذه الفترة بأن تنصر

المسلمون لم يكن الا تظاهرا وأن النشاط الاسلامى لم يخبت بالاضطهاد وانما عمل المسلمون على نشر دينهم الاسلامى خفية بين القبائل الوثنية والمسيحية أيضا ، وبينما كان الروس يظنون بان امر الاسلام قد انتهى ظهر بان الاسلام قد انتشر بين قبائل جديدة مثل الفوتياك والشيريس وان عددا بلغ من الكثرة ٥٣ الف أسلم بين سنتى ٩٠٦ - ١٩١٠ بالرغم من القوانين التى تحرم التحول الى أى دين من الاديان عدا مذهب الكنيسة الارثوذكسية . ويقول الكاتبان الفرنسيان الكسندر بنفغسن وشانتال .

"كانت روسياقد سيطرت على الاتراك والقفقاسيين خلال اكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن من ١٥٥٢ حتى ١٩١٧ وفى هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية والقفقاسية محنة قاسية وعانت صراعا مريرا ومستمرا للحفاظ على تراثها الروحى والبقاء كشعوب متميزة ، ولقد نجت فى كفاحها نجاحا كاملا اذ خرج الفاتح مهزوما من المجابهة ، فيما اندمج الاسلام المضطهد بعنف اندماجا تاما بثقافة هذه الشعوب وتقاليدها وأصبح النواة الاكثر عما لهويتها القومية . فالشعوب المسلمة فى روسيا ظلت قبل كل شىء ورغم تغيير الاحوال السياسية والعسكرية منتمية الى دار الاسلام .

بعد انتهاء فترة استرداد الانفاس للمسلمين والنشاط الاسلامى فيما بين ١٩٠٥ - ١٩٢٥ عاد الاضطهاد الدينى والقسوة الوحشية لاستئصال الاسلام ومحاربة المسلمين من جديد على يد الشيوعيين الروس . وشنت السلطات الشيوعية حملات واسعة ضد الاسلام وانطلاقا من مبدأهم الضال . الدين أفيون الشعوب ، واصطبغت المعركة الماركسية الموجهة ضد المسلمين بغرض الالحاد عليهم ومطالبتهم بالتنكر لربهم وخالقهم بكل عنف وقسوة ، وفى عام ١٩٢٤ بدأ

العمل الفعلى لمحاربة الشيوعيين ضد الاسلام بالغاء المحاكم الشرعية والاحكام الشخصية الاسلامية ثم اغلقت الحكومة السوفياتية ٢٦ ألف مدرسة و٣١ ألف مسجدا وجامعا لمسلمى الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٢٨ وفى عام ١٩٣٠ صادرت بقية بقية الاوقاف الاسلامية التى كانت تؤمن باستمرار بعض النشاط الاسلامى والاجتماعى للمسلمين وأخيرا بدأت فى عام ١٩٣٢ بحركة شاملة لتصفية علماء الاسلام ورجال الدين الذين قدر عددهم بحوالى ٤٥ ألف شخصا فى عام ١٩١٢ بتهمة الطفيلية والرجعية واجتهد المحلدون والشيوعيون فى نشر الدعايات الالحادية والتعاليم المراكسية بين المسلمين ومراقبة تصرفاتهم وسلوكهم من آداء الشعائر الدينية ومعاقبتهم بالقتل والسجن لكل من يؤدى صلاة أو يقرأ القرآن الكريم وغير ذلك . واستمر اضطهاد الدين الاسلامى بلا هوادة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية .

أثناء الحرب العالمية الثانية حاول جوزيف ستالين استمالة القوى الداخلية فى حربه مع ألمانيا النازية فخفت الحملات المسعورة ضد المسلمين واتجهت الحكومة السوفياتية الى احتواء المسلمين وممارستهم الدينية فى الادارات الدينية التى احدثتها لادارة ماكان ولايزال متبقيا من المؤسسات الاسلامية . وجدت فى نفس الوقت انشاء دار فتيا للاسلام فى الاتحاد السوفياتى ودعى الى مؤتمر اسلامى فى اوفا تحت رئاسة المفتى عبدالرحمن رسولوف ، وقام هذا المفتى فى نفس العام بزيارة القاهرة وغير ها من البلدان الاسلامية .

وفى عهد خروتشيف وصفت بالعودة الى اللينينية نهاية لمرحلة الوفاق واستمرت حملة جديدة وعنيفة ضد الدين دام ١٩٥٤ حتى ١٩٦٤ ، اذ اقفلت معظم المساجد المفتوحة فهبط عددها الى اقل من ٣٠٠ مسجد فى عام ١٩٦٥ ، وشنت ضد الدين حملة دعائية كثيفة وشاملة تجندت لخدمتها كل وسائل

الاعلام الجماهيرية من صحافة واذاعة وتلفزة وسينما ومسرح وطبع مابين سنتى ١٩٥٤ ـ ١٩٦٤ تسعمائة وعشرون مصنفا مناهضا للاسلام باللغات الاسلامية .

وبعد سقوط خروتشيف دخلت العلاقات مابين الحكومة السوفياتية والاسلام مرحلة جديدة لاتزال الى يومنا . فقد خف الهجوم الشامل لكن الدعاية المعادية للاسلام تتابعت بشكل علمى اكثر واوقف الهجوم ضد رجال الدين لانها اعتبرت غير مجدية .. وفى السنوات الاخيرة افتتحت بعض المساجد الجديدة ، واعيد فتح المساجد المغلقة ومنحت حكومة موسكو الادارات الدينية الاسلامية حرية اكبر فى العمل . وفى المقابل بذل العماء الدينيون مساهمتهم فى الدعاية الاسلامية بان المسلمين تغمرهم السعادة والسرور والرفاهية فى الاتحاد السوفياتى . غير أن هذا التقارب التكتيكى لن يبدل الاساس المناهض للدين والايديولوجية الماركسية اللينينية . لان الشيوعية والدين ، هما كالنار والماء . والفرق الوحيد بين عهدى لينين وستالين وعهدنا الحالى يكمن فقط فى الطريقة التى تستعملها السلطات السوفياتية فى محاربة الاسلام ، بيد انها تفضل فى الوقت نفسه الصراع الايديولوجى والتربية والاقناع على الضغط الادارى والقمع البوليسى .

تقع مهمة محاربة الدين على عاتق كل تنظيمات الدولة والحكومة والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى . وتبعا لذلك يكمن تنظيم دورات فى الالحاد العلمى فى المصانع والمزارع مثلما تنظم فى الجامعات ، وقد كلف بنوع خاص بالدعاية المناهضة للدين النقابات العمالية وفروع معهد " ماركس ـ انكلز ـ لينين " فى كل من الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والكومسومول ووزارات الثقافة فى الجمهوريات ، وكذلك الحزب الشيوعى فى المناطق والمقاطعات والمدن وكل المؤسسات المدرسية ابتداء من رياض الاطفال حتى أعلى مستوى جامعى . ومنذ الحرب العالمية الثانية تمركزت الدعاية

المعادية للاسلام تحت ادارة جمعية نشر المعارف السياسية والعلمية التى تضم فروعا فى كل جمهورية ومنطقة ومقاطعة . وتستخدم الدعاية المناهضة للدين بكل وسائل الاعلام الجماهيرية من برامج اذاعية خاصة ، افلام معادية ، معارض ومتاحف ثابتة زمتنقلة ، منشورات متنوعة من كتب وكراريس ومقالات صحفية ونشرات دورية متخصصة ، وخاصة المحاضرات العامة العديدة وكذلك الأحاديث الخاصة اذ يتوجه الاختصاصيون فى الالحاد الى بيوت المسلمين لاعطاء دوروس ومحاضرات فى اصول المادية الجدلية . فمثلا فى عام ١٩٨٤ ألقيت ٤٧٢٩١ محاضرة عن الالحاد فى جمهورية اوزبكستان وحدها ، ويبلغ متوسط المحاضرات الالحادية ثلاثة الآف محاضرة يوميا فى مناطق المسلمين فى الاتحاد السوفياتى . ويقول ن . فوليف و ل . ريد كو فى مقالهما Propaganda Ateizam الدعاية الالحادية المنشور فى مجلة جوهرة تركمانستان Turkmenskaia Iskra فى ٧ أبريل ١٩٨٥ : بأن هناك ٢٥ جامعة و ٤٨ كلية الحادية فى تركمانستان فى عام ١٩٨٤ وفى عام ١٩٨٠ بلغ عدد الكتب المناهضة للاديان ١٥٤ مصنفا كان ٢٧ كتابا منها بنسبة ٥ر١٧٪ مخصصة لمحاربة الاسلام . اما فى عام ١٩٨١ فقد بلغ مجموع الكتب المعادية للأديان ١٩٠ مصنفا خصص ٤٥ مصنفا اى بنسبة ٢٤٪ منها لمناهضة الاسلام . وقد جندت الشيوعية عددا كبيرا من الموظدين لمحاربة الاسلام ونشر الالحاد ، بلغ عددهم فى جمهورية تاجيكستان وحدها ألفين محاضر و١١ ألف مرشد سياسى و ٤١ ألف موجه ملحد فى عام ١٩٧٦.

اما وضع الدين الرسمى فى الاتحاد السوفياتى ـ كما نص عليه فى الدستور الذى صدر فى عام ١٩٢١ والذى لايزال سارى المفعول الى الآن فهو كالآتى :

المادة ٢٥ : التعليم العام والتدريس او التأهيل المهنى يخدم المبادىء الشيوعية والتنمية الثقافية والجسمانية للشباب .

وفى المادة ٥٢ : تنص على الآتى : تضمن الدولة لمواطن الاتحـــاد السوفياتى حرية الاعتقاد ، اى الحق فى اتباع اى دين ، او عدم اتباع اى دين وحق أداء الشعائر الدينية ، وكذلك حق القيام بالدعاية الالحادية ويحظـــر استخدام الدين فى التحريض على العداء والكراهية . والدولة فى الاتحـــاد السوفياتى منفصلة عن الدين وكذلك التعليم .

وأصعب موضوع فى المسألة هو التوازن بين القيام بالعبادات مع الحق فى نشر الدعاية الالحادية . فالدعاية الدينية التى تفسر بأوسع معانيهـــا حتى تشمل اى شكل من التعليم الدينى او المناقشات الدينية بين الافـــراد ممنوعة . وحق القيام بالعبادات من جهة ثانية يفسر بشكل ضيق ويعتبـــر قانونيا اذا جرى بالشكل وفى المكان الذى تحدده الدولة .

## اليقظة الاسلامية فى الاتحاد السوفياتى

لقد مضى على بدأ الاستعمار الروسى لبلاد المسلمين أكثر من ٤٥٠ عاما منذ ان سقطت قازان بيد ايفان الثالث عام ١٥٥٢م . وخلال هذه الفترة الطويلة تعرض المسلمون لضروب شتى من الاضطهاد والعنف ، بدأه الصليبيون بفرض النصرانية بالقوة واجبار المسلمين لاعتناق المسيحية واستئصال الاسلام من صدور المؤمنين . واذا تولى الاضطهاد الصليبى بزوال الامبراطورية القيصرية من روسيا ، فان العنف الالحادى قد مارس قسوته وظلمه بالقتل والتعذيب البدنى بهدف فرض الشيوعية الضالة عقيدة على المسلمين بدلا من اسلامهم الحق . ولاتزال الماركسية السوفياتية التى خففت من حدة البطش الجسدى - تمارس الاضطهاد المعنوى والفكرى بقوة لاتقل عن البطش البدنى فى تضليل المسلمين وافساد عقيدتهم واخراجهم عن طريق الاسلام المستقيم .

والنعمة التى أكرم الله عز وجل اولئك المسلمين المضطهدين ، واحتار لها وتعجب الصليبيون والشيوعيون هى أن الله تعالى أعانهم على التمسك بدين الاسلام فى هذه المحنة وأن احتكام المسلمين بالظلم والاضطهاد الطويل ، والعنف أجلى صور رائعة من تمسكهم وارتباطهم الوثيق بالاسلام .. فالتقارير الصحفية وانطباعات الزائرين الى المناطق الاسلامية .. علا( على استقصاءات الحكومة السوفياتية والدراسات الغربية تؤكد ان اساليب الاضطهاد المختلفة وعمليات الابادة والتجهجير والقوة والعنف والتذويب الثقافى والعنصر لم تؤد اهدافها فى القضاء على روح الاسلام فى نفوس المسلمين .

ويقول الكاتبان الفرنسيان فى كتابهما المسلمون المنسيون فى الاتحاد

السوفياتى :

نستطيع القول انه لايوجد حتى ايامنا هذه ملحدون بالمعنى المطلق للكلمة فى الاقاليم الاسلامية من الاتحاد السوفياتى . فالملحد هناك سيكون موضوع سخرية عامة لان نفى وجود اله لايعتبره المسلم علامة ثورة عبثية أو ثمرة فلسفة عميقة بل نوعا من الغباء يحط من شأن الانسان الى مستوى دون مستوى البهيمية . والكلمة التى تطلق هناك على الملحد دينسيز اوبى دين هى فى حد ذاتها شتيمة كبيرة والملحد المقتنع بالحاده والمصر عليه يزول من الجماعة " .

وقد عبر القادة السوفييت اكثر من مناسبة عن مخاوفهم من تمسك المسلمين بتعاليم الاسلام حيث جاء فى الخطاب الذى القاء شريف رشيدوف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى اوزبكستان عـ) ١٩٧٩ :

" ان رجال الدين يتأقلمون بذكاء مع الاوضاع الجديدة ولهم مقدة على لبس اللبوس لكل حالة ، وهم يدافعون عن بعضهم بعنف .. ويبدون اهتماما خاصا بالشباب ، ومن خطأ القبول انهم يخوضون حربا خاسرة وان نفوذهم يتبدى فى فى الاعداد المتزايدة التى تؤم المساجد دون الاعداد التى تشارك فى الاعياد والشعائر الاسلامية " .

وقد نقلت جريدة الشرق الاوسط عن الاوبزيرفر البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٦/١/٢٧ قولها بأنالتقارير الرسمية وغير الرسمية تفيد بان العائلات والعشائر الاسلامية الآسيوية الكبرى تقاوم الدعوة الشيوعية وتزاول الشعائر الاسلامية فى الكثير من الاحيان ، وتستخدم الافراح لاظهار قوة العائلة . ويقال ان رئيس اتحاد الكتاب فى جمهورية اوزبكستان المتقاعد فى الوقت الحاضر اقام حفل زواج لولده تحدى فيه التعليمات الصادرة عن الدولة . وقالت الاوبزيرفر أن وجود عالم آخر خارج اطار النفوذ الروسى واضح فى المناطق الريفية بمعظم أهالى آسيا الوسطى

يعيشون فى القرى وفى هذه القرى تمارس الشعائر الاسلامية بما فيها الصوم .

واستطردت الصحيفة البريطانية قائلة " ان مسجدين رسميين فى اقليم كورغان فى تاجيكستان يشهدان اقبالا على ممارسة الشعائر الدينية . كما أن عدد اماكن العبادة الاسلامية ازداد فى جمهورية تركمانستان ".

وقد اشارة معظم الدراسات السوفياتية الى ان نسبة المتصفين بالالحاد هى ٢٠٪ من المسلمين وان ٨٠٪ منهم يعلنون بوسيلة او باخرى ايمانهم بالله عز وجل ويمارسون بعضا من الشعائر الاسلامية وحتى ان الملحدين او المتصفين بالالحاد الذين تقدر نسبتهم ٢٠٪ من رجال الحزب الشيوعى ويتولون مناصب حزبية او حكومية عالية هم فى غالبيتهم مسلمون بلتزمون بالختان والزواج الاسلامى والدفن فى مقابر المسلمين ويؤدون الصلاة والصيام سرا ويعلنون اسلامهم بعد التقاعد ، وعلى هذا فان الدراسات الحديثة تقدر نسبة المسلمين الذين يلتزمون بتعاليم الاسلام مابين ٩٥ - ٩٩٪ من جملة المسلمين بما يؤكد على انه لايوجد مسلم ملحد كامل يكفر بجميع احكام دينه . وان كانت مناصبهم تلزمهم على اظهار الكفر الا أنهم فى قرارة نفوسهم يرون انهم مسلمون وان تخليهم عن المراكز الحكومية فى ادارة مجتمعاتهم الى الى اشغالها بعناصر روسية أجنبية تزيد من قوة سطوة الاستعمار وسيادة الروس فى بلادهم .

وفى التحقيق الذى نشره دورجينوف فى مجلة موسكو فيت نوكا فى شهر أبريل عام ١٩٦٧ قال فيه ان بعض المثقفين السوفيات وهم اعضاء الحزب الشيوعى وفى الكوموسول وملحدين عن اقتناع يعتبرون انفسهم مسلمين ولايزالون يحافظون على أداء بعض الشعائر الدينية . ولايزال يسمح الى اليوم فى تاشكند تعابير كهذه " لايستطيع غير المسلم ان يكون اوزبكيا او تاجيكيا".

كما اثبتت الوقائع والدراسات العلمية بان الشبان المسلمين المتشبعين بالثقافة الشيوعية ومعروفين بالتلاحم فى المجتمع السوفياتى يرفضون ظواهر الترويس ويتمسكون بشخصيتهم الاسلامية وارثهم التاريخى وصفاتهم القومية وتتفق كل التحقيقات على نقطة واحدة مشتركة هى انها تكشف تعلق المؤمنين وغير المؤمنين الفريد بمجموعة من الممارسات التى تشكل طريقة العيش الاسلامية والتى تميزهم عن الروس تكون عقبة امام التقارب البيولوجى ( الزواج ) بين المسلمين وغير المسلمين • حيث لم تفلح الضغوط المادية والمعنوية كلها على حمل المسلمين والمسلمات على الزواج من غير دينهم •

وقد ادت هذه اليقظة الاسلامية وتمسك المسلمين بشعائرهم الدينية الى صدام بين المسلمين المضطهدين والمستعمرين الروس حيث أشارت بعض الأنباء الحديثة التى تسربت الى اوروبا بحدوث عدد من الاضطرابات بين العمال ورجال الحزب الشيوعى فى جمهوريات آسيا الوسطى والقفقاس الاسلامية انتهت بتدخل الجيش الاحمر وفرض الاحكام العرفية خلال شهر مارس ١٩٨٢ •

وفى اواخر عام ١٩٨٥ جرى استبدال ثلاثة من زعماء جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية ، وقد تم تعيين خلفا لهم بعد استقالتهم من الوجهة الرسمية ، ولكن الانتقادات التى ظهرت ضدهم فى الصحف الصادرة فى جمهورياتهم لاتدع مجالا للشك على طردهم من مناصبهم • وهناك علامات استفهام حول مستقبل دينوم احمد كونابيف زعيم الحزب فى قازاقستان منذ أكثر من عشرين عما وتتضمن الانتقادات الموجهة لهم واسباب عزلهم الى انبعاث الحركة الدينية فى مناطقهم ففى اقليم نارين بجمهورية قيرغيزستان حيث جرى استبدال زغيم الحزب هناك اوائل يناير ١٩٨٦ ، فقد جرى ربط التحيز الدينى الشديد لضعف تعليم اللغة الروسية وتقترح بعض التقارير زيادة ممارسة الشعائر الاسلامية فى بعض

المناطـــق .

والسؤال الذى يطرح نفسه هل ستتطور اليقظة الاسلامية واضطرابـــــات المسلمين بتأثير من الحركات الاسلامية العالمية والجهاد الافغانى الاسلامـــى الى ثورات تستطيع تهديد النظام السوفياتى ؟ ام هل يعيد حكام موسكـــو سياسة البطش والعنف لاستئصال مثل هذه الحركات القومية والنشاط الاسلامى؟.. ولكن الذى يبدو ان دكتاتورية ستالين لن ترجع فى هذا العصر ، وانمـــا ستعمل موسكو على احتواء تزايد الشعور الاسلامى والقومى باتاحة الفرصـــة لمنسوبى الشعوب المسلمة من الشيوعيين فى المساهمة فى ادارة دفة الحكـــم ولو نظريا لايهام الشعوب المسلمة المحكومة بالمساواة ، كما انها ستأخـــذ بالتسامح الدينى تدريجيا لامتصاص النقمة والسخط ضد الحكم السوفياتـــى القائم كما هو الحال الآن عما كان عليه فى عهد ستالين وكما تطبقه الحكومة الصينية الشيوعية فى تركستان الشرقية حاليا .

## النشاط الاسلامى الرسمـــــى

خلال الحرب العالمية الثانية علم ستالين بتعاون بعض الجماعـــــات الاسلامية التى قاست العنف الشيوعى مع الالمان النازيين فى تقدمهم الـــــى الاتحاد السوفياتى فأراد ستالين ان يكسب تعاطف المسلمين معه بأن خفـــــف عمليات القتل والابادة والتعذيب فى معسكرات السخرة التى مارستها الاجهـــزة الشيوعية ضد المسلمين واستحدث ادارات دينية خاصة بالمسلمين هدفها الرسمى الظاهر هو مساعدة المسلمين ، ولكن غايتها المستترة هو ابقاء الاســـــلام وممارسة المسلمين شعائرهم الدينية تحت رقابة الحكومة السوفياتية الصارمة واستخدامها فى تطويع المسلمين وتشكيل الثقافة الدينية والفكر الاسلامـــــى فى قوالب يضعها الحزب الشيوعى فى بث الحاده وسمومه ، ثم استعمالها مـــادة دعائية تبين من خلالها الحرية الدينية الزائفة فى الاتحاد السوفياتى .

وترتبط الادارات الدينية الاسلامية بمجلس الشئون الدينية التابـــــع لمجلس وزراء الاتحاد السوفياتى حتى يحكم العلاقات بين المسلمين والحكومـــة السوفياتية ويؤمن الضبط عليهم ، وتشرف على الادارات الدينية لجنة تنفيذية يرأسها المفتى المختار من بين الاربعة المفتيين او شيخ الاسلام الشيعى فـــى باكوا ، والادارات الاربعة هى :

١ ـ الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان : تهتم بالمسلمين السنة التابعين للمذهب الحنفى ومركزها تاشكند ورئيسها الحالـــــى المفتى الدكتور شمس الدين بن ضياء الدين باباخانوف ولفتها الادارية هى التركية الاوزبكية وتشمل سلطتها جمهوريات اوزبكستان وتاجيكستـــان وقازقستان وقيرغيزستان فى تركستان الغربية بآسيا الوسطى .

٢ ـ الادارة الدينية لمسلمى روسيا الاوربية وسيبيريا وتشرف على المسلمين السنة التابعين للمذهب الحنفى فى روسيا الاوربية وسيبيريا ومركزها فى اوفا فى جمهورية بشكيريا الذاتية ويرأسها حاليا المفتى الدكتور طلعت تاج الدين ولغتها الادارية هى التركية التتارية .

٣ ـ الادارة الدينية لمسلمى القفقاس الشمالى والداغستان وتشرف على المسلمين السنيين التابعين للمذهب الشافعى فى جمهوريات ومناطق شمال القفقاس ومركزها فى محج قلعة فى جمهورية داغستان الذاتية ، ويرأسها حاليا المفتى الحاج محمود كيكى ولغتها الادارية هى اللغة العربية .

٤ ـ الادارة الدينية لمسلمى ماوراء القفقاس وتشرف على المسلمين السنة التابعين للمذهب الحنفى والشيعة التابعين للمذهب الجعفرى فى جمهوريات اذربيجان وارمينيا وجويجيا وكل الشيعة فى الاتحاد الشوفياتى . ومركزها فى باكو بجمهورية اذربيجان السوفياتية ، ويرأسها حاليا الحاج الله شكبر باشازاده ولغتها الادارية هى التركية الاذارية .

وهذه الادارات الدينية الاربع هى : المؤسسات الاسلامية الوحيدة المعترف بها رسميا . وينبغى ان تمر عبرها كل الحياة الدينية العامة والخاصة لان اى نشاط دينى خارجها يعتبر غير شرعى ويحظره القانون بشدة وتشرف هذه الادارات على المساجد المفتوحة وعددها ٤٥٠ مسجدا وجامعا تقريبا فى الاتحاد السوفياتى ، كما تشرف على رجال الدين المسجلين والمسموح لهم بممارسة الواجبات الدينية الاسلامية فى المساجد ، وتنظيم بعثات رسمية

سنوية يتم اختيار أعضائها من رجال الدين المسجلين رسميا وتخول لهـــــا تمثيل الاسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفياتى فى الاجتماعات وزيارة البلـدان الاسلامية .

ان الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان تشرف علـى ادارة مؤسستين تعليميتين ، وهمـــا :

١ - مدرسة ميرعرب فى بخارى التى فتحت فى عام ١٩٤٥ يتلقى الطلاب الوافدون من كل المناطق الاسلامية فى الاتحاد السوفياتى اللغة العربية والعلـوم الاسلامية مدة سبع سنوات ويتخرج منها سنويا مابين عشرة وخمسة عشـــرة طالبا يؤم بعضهم المساجد المفتوحة ويلتحق الآخرون بمعهد الامـــــام البخارى فى تاشكنـــد .

٢ - معهد الامام البخارى وقد تأسس فى تاشكند عام ١٩٧١ ومدة الدراسة فيه أربع سنوات ويتخرج منه الطلاب فقهاء وموظدين فى الادارات الدينيـــة الأربعة ويرسل أفضل طلابه الى الجامعات الاسلامية فى القاهرة ودمشـــق وفاس وبنى غازى فى ليبيا .

وتقوم الادارات الدينية بطبع القرآن الكريم والكتب الاسلامية حيـــث طبع القرآن الكريم خمس مرات ، وآخرها فى قازان عام ١٩٨٤ ولايعلم عدد نسخ كل طبعة ولكن المعروف ان نسخة القرآن الكريم تباع فى السوق السوداء بألفى روبل ، وذلك لان الكميات المطبوعة لاتوزع الا لرجال الدين الرسميين وتقـــدم هدايا للمسلمين من خارج الاتحاد السوفياتى .

وقد صدرت بعض الكتب الاسلامية مثل الجامع الصحيح والادب المفـــــرد للامام محمد اسماعيل البخارى . كما تنشر الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان مجلة " مسلمو الشرق السوفياتى " باللغات العربية والانجليزيـــــة

والفرنسية والفارسية والتقويم السنوى ، وكل المطبوعات الاسلامية باللغة العربية ، وتطبع مجلة " مسلمو الشرق السوفياتى " والتقويم السنوى باللغة الاوزبكية بالأحرف العربية .

وعلى هذا فالكتب الاسلامية التى تطبع وتنشر فى الاتحاد السوفياتى لايستفيد منها الا رجال الدين الذين يتقنون اللغة العربية فقط بما معناه أن المسلمين ممنوع عليهم قراءة الكتب الدينية والاستفادة منها، وحتى اللغة اولازبكية لمسلمى تركستان الغربية لاتكتب الا بالحروف العربية بينما هذه الأبجدية العربية قد ألغتها السلطات السوفياتية منذ عام ١٩٣٠م اى اكثر من قرن . ومع ان المواد والكتب المعادية للاسلام تطبع بكل اللغات واللهجات وبالابجدية الروسية التى يتكم بها ويقرأها مسلمو الاتحاد السوفياتى فى الوقت الحاضر .

وبعد سقوط نكيتا خرشوف بدأ رؤساء الادارات الدينية ورجالها باقامة علاقات ثابتة ومتنوعة مع بلدان العالم الاسلامى فى الخارج . وتكشفت هذه العلاقات من عام ١٩٧٠ ، ذلك لان الاتحاد السوفياتى يخطط سياسة مدروسة تجاه العالم الاسلامى ، ومن ضمنها استخدام كبار رجال الدين كسفراء حقيقيين يعملون على تأكيد بأن الاتحاد السوفياتى قد يكون حليف العالم الاسلامى والعربى الأفضل من الغرب وتعمل الادارات الخارجية للادارات الدينية الاسلامية فى اتجاهين :

أ - دعوة الشخصيات والهيئات الاسلامية لزيارة مناطق المسلمين أو دعوتهم للمشاركة فى مؤتمرات تعقدها الادارات الدينية فى تاشكند وغيرها من مدن تركستان الغربية .

ب - زيارة بلدان العالم الاسلامى وتمثيل المسلمين السوفيات فى النـــدوات والمؤتمرات الاسلامية والعالمية . ويقوم بهذه المهمة نخبة مـــن الزعماء الدينيين السوفيات الذين يتكلمون اللغة العربية بشكل ممتاز ويملكون معرفة متعمقة بأمور الدين الاسلامى . فهم عندمـــا يرددون ترهات الدعاية الرسمية عن ازدهار المسلمين وسعادتهم فى الاتحـــاد السوفيات يجدون آذانا صاغية لدى زملاءهم الاجانب ، ولذا يعتبرون فـى الوقت الحاضر أفضل سفراء موسكو الى دار الاسلام .

ويجدر بنا أن نضيف بأن رؤساء الدين المسلمين الرسميين يتصرفـــون حيال السلطات السوفياتية بولاء كامل وهم ينشرون بين المسلمين روح الخضـوع ولم يحدث قط أن ارتفع صوتهم بالاحتجاج ضد الدعاية المعادية للاسلام حتـــى الاكثر سفاهة . ولم يوجه أحدا منهم أقل نقدا للماركسية - اللينينية ، بل هم على العكس يعلنون أن الشيوعية حققت المثل العليا للاسلام . وهم لايـرون ضرا فى ان يكون المسلمون ماديين وملحدين وأعضاء فى الحزب الشيوعى مادامت نفوسهم مؤمنة بالاسلام . وفى سبتمبر ١٩٨٠ صرح المفتى ضياء الدين بابـــا خانوف لأحد الصحافيين الفرنسيين : " لايوجد أى عداوة بين حكومتنا القائمة على الماركسية ، ورجال الدين المسلمين الذين يبنون حياتهم على أســـاس عقائد الاسلام . ليس من عداوة بين الملحدين والمؤمنين ولامشاحنات بينهـــم . ففى بلادنا يعيش الجميع فى سلام ، ولهذا السبب نحن مسرورون جدا من حكومتنا" وعلى هذا فان عامة المسلمين ينظرون الى رجال الدين الرسميين على انهـــم عملاء للحكومة الشيوعية ويطلقون عليهم لقب " كونست مالالر " اى العلمـــاء الشيوعيين ، وبالرغم من نفوذهم وسيادتهم المستمدة من السلطة السوفياتيـة

فان تأثيرهم على المسلمين يكاد يكون محدودا ، اذ لايثق المسلمون بهم ويعتبرونهم أدوات ووسائل تستعملها الحكومة الشيوعية لانفاذ سياستها المرسومة ضد الاسلام والمسلمين .

## النشاط الاسلامى السرى

اطلق السوفيات مؤخرا تعبير " الاسلام الموازى " للدلالة على مؤسسات دينية فعالة يصعب تحديدها بدقة وينطوى هذا التعبير ، من جهة ، على ماتدعوه المصادر السوفياتية " العنصر الدينى النشيط " وهى تعنى بذلك علماء المسلمين الغير رسميين الذين يعرفون حدا أدنى من اللغة العربية الضرورية لقراءة الكتب الدينية ويحفظون جزءا من القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وهم مؤمنون بالسليقة والاقتناع الشخصى ويملكون قدرا من الحكمة والخبرة لممارسة الوعظ والارشاد وامامة المسلمين وارواء تعطشهم الى الثقافة الاسلامية . كما ينطوى التعبير من جهة أخرى على الطرق الصوفية وهى جماعات مقفلة من دون أن تكون سرية يتلقى مبتدؤها تعليما خاصا صارما يؤهلهم للعمل وفق تعاليم الطرق الصوفية بتنظيم داخلى متين ويسيطر على العلاقات بين أفرادها ورؤساءها نظام حديدى وطاعة مطلقة .

وعلى هذا نجد فى الاتحاد السوفياتى تيارين متضادين : التيار الرسمى الذى يمثله رجال الادارات الدينية الاربعة وشيخ الاسلام ورجال الدين الرسميين. والتيار غير الرسمى الذى يمثله رجال الدين غير الرسمى وشيوخ الطرق الصوفية ، واعضاء هذا التيار هم الاكثر عددا وثقة وعملا والاوسع انتشارا فى الاتحاد السوفياتى . وتجمع كل المصادر السوفياتية على التأكيد ان الاسلام الموازى أو التيار الصوفى هو الأكثر ديناميكية من الاسلام الرسمى بما لايقاس .

فى الواقع ان فقدان ثقة المسلمين برجال الدين الرسميين وانعـــدام وسائل التثقيف الاسلامى والانعزال الفكرى المحيط بهم وانصراف العالم الاسلامى عنهم أحدث بينهم فراغا روحيا وضياعا فكريا ، تستغله السلطات السوفياتية بالدعاية الشيوعية والتعليم الالحادى عن طريق أجهزة الاعلام ووسائل التعليم المختلفة تدفع المسلمين الى التمسك بما لديهم من الغث والسمين من المعرفة الاسلامية الضئيلة المتوارثة ، الامر الذى أدى الى ظهور البدع والخرافـــات ورواج الطرق الصوفيـة ، ذلك لان قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـــر الصادقة قد تعطلت بعد ابادة العلماء الصالحين خلال فترات العنف الشيوعى ، وان توجيهات الادارات الدينية الرسمية رغم صدقها فى تحذير المسلمين مـــن البدع المستحدثة غير مقبولة لفقدان الثقة الشعبية فيها . مما أتـــاح المجال الى ازدهار الصوفية فى حلقات الذكر السرية التى تسمى بالاخوانيات.

ويتمركز نشاط الصوفيين حول أضرحة أولياء الصوفيين أو الزعمـــاء الوطنيين المستشهدين فى حروب مع الكفار وقد أصبحت هذه المقابر البديـــل الممكن لأداء فريضة الحج المستحيلة لهم فى مكة المكرمة ، لذا يقصدهـــا عدد كبير من المسلمين ويعقد فيها المريدون حلقاء الذكر والعبادة ، وتقول المصادر السوفياتية بأن الاماكن الصوفية تشبه طائر الفينيق الخرافى الذى ينبعث دوما من رمادة لأن الأماكن التى حولتها السلطات السوفياتية الـــى متاحف مناهضة للاسلام تقصدها دائما جماهير غفيرة من المسلمين ، وعندمـــا تكون هذه الأماكن المقدسة قائمة فى منطقة جبلية نائية فان زيارتها تتلبس شكل رحلة سياحية أو خروج فى نزهة الى الطبيعة .

ومع ان المعلومات غير متوفرة عن النشاط الاسلامى لرجال الدين الغيـــر رسميين بحكم الرقابة الشدية الا أن الدلائل تشير الى ان الاشخاص والجماعـــات

والهيئات التى تعمل خارج نطاق الزعماء الدينيين المسموح لهم بممارسة النشاط يقومون بنشاط فعال . وقد سئل المفتى الشيخ ضياء الدين بابا خانوف رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان فى صيف عام ١٩٦٦ عن العدد الحقيقى للجمعيات الاسلامية الغير مسجلة . فأجاب بقوله : الله وحده يعلم . وفى تقرير سرى قدمه ف . فورف ـ أحد زعماء مجلس الشئون الدينية الى لجنة تحرير دائرة المعارف السوفياتية فى مايو ١٩٧٦ م ذكر فيه بأن عدد المساجد المسجلة هو ٣٠٠ مسجدا وغير المسجلة ( السرية ) ٧٠٠ مسجدا .

كما ظهرت حركات اسلامية سرية مثل ( حركة اهل القرآن ) و ( شعب القرآن ) و ( جمعية المكافحة من أجل صفاء الايمان ) وكذلم مدارس القرآن الكريم السرية التى تعتنى بتعليم وحفظ وتجويد القرآن الكريم وحث المسلمين على استئناف شعائرهم الدينية والعودة بالاسلام الى نقائه الاصيل . علاوة على أن بعض الشباب الاسلامى قام بتوزيع نشرات دينية مطبوعة على الآلات أو منسوخة باليد تدعو الى التمسك بشعائر الدين ، التقيد بالصلاة ، ومن أبرز هؤلاء الشباب المسلمين زاكر رحيموف الذى قبض عليه فى يناير ١٩٨٣ م بتهمة تشكيل جمعية دينية اسلامية واصدار كتاب فى الدين الاسلامى باللغتين الاوزبكية والعربية وتسجيل سور من القرآن الكريم على تسجيلات خاصة وتوزيعها على المسلمين .

وقد نشرت صحيفة الشباب ( كومسومولسكايا برافدا ) الصادرة فى يونية ١٩٨٣ تقول : ان تنظيمات اسلامية غير مشروعة ( رسمية ) تصبح أكثر مهارة فى جذب المؤمنين الى هذا الدين ، وانها تحقق نجاحا متزايدا . وأضافت بأن هذا يفسر حقيقة انه بين المؤمنين اليوم لانرى فقط المتخلفين ثقافيا بل أيضا أناسا من الحاصلين على تعليم متوسط او حتى عال . وقد كتب مقال الصحيفة ابايا شوليبا بيف ، وهو أستاذ فى الفلسفة الماركسية ـ اللينينية

وقال " ان الاتجاه الحالى يبعث للقلق وحث مسؤولى الحزب الشيوعى على تصعيد التعليم الالحادى لمواجهة هذا التطور . وأضاف انه من الضرورى اقنـــــاع الشباب بقوة أكثر بالدور الرجعى الذى تلعبه المؤسسات الدينية بصفة عامة وان نبث فى الفتيان والفتيات الكراهية للايمان الدينى " .

وبالرغم من الحظر الثقافى الذى يعيش فيه المسلمون واحتكار الادارات الدينية ورجالاتها لمصادر المعرفة الاسلامية ومنع تداول المواد الدينية التى هى اساسا باللغة العربية التى لايعرفها الا الرجال الرسميون المصرح لهـــم بمطالعتها . فان طلاب العلم الاسلامى لايتركون وسيلة من الوسائل للاستفـــادة العلمية الا اتبعوها واتخذوها لا رواء تعطشهم الروحانى ، ومن هذه الطـــرق التى تناولتها الدراسات الغربية لمصادر الثقافة الاسلامية فى الاتحـــــاد السوفياتى كالآتـــى :

١ ـ تهريب المصاحف واشرطة التسجيلات القرآنية والاحاديث والكتب الاسلامية ، ويقوم به بشكل محدود القادمون من الطلاب والزائرون المسلمون للاتحاد السوفياتى ، وقد نجح المجاهدون الأفغان فى تهريب المنشورات والكتب الدينية مثل تعليم الصلاة والسيرة النبوية باللغة الروسية . كما أن جريدة ( وطن ) التى يصدرها الاتحاد الاسلامى لمقاطعات شمال أفغانستان فى بشاور بباكستان لقيت انتشارا محلوظا بين اوساط المسلميـــــن السوفيات .

٢ ـ يتلقى المسلمون السوفيات معلوماتهم من بعض الطلاب المسلمين القادمين من افغانستان وسوريا والجزائر والسودان وباكستان وغيرها ويدرسون فى الجامعات الروسية ولايعجبهم النظام السوفياتى ويتألمون لاحـــــوال اخوانهم مسلمى السوفيات ، فيعملون سرا على توعيتهم وتثقيفهـــــم بالمعلومات الدينية . مما أثار قلق السلطات السوفياتية وتخوفهـــا

منهم فطردت نخبة من الشباب المتدين من ابناء الاردن والسودان وبنغلاديش وفلسطين بسبب التزامهم بالاسلام فى عام ١٩٨٤ ، كما اغتال الروس مؤذن جامع موسكو لمصادقته بعض الطلاب المسلمين فى عام ١٩٨٣م

٣ - يرى المراقبون السوفيات ان تأثيرات الشرق الاوسط تشكل اكبر خطر يهددهم وان رابطة العالم الاسلامى وجماعة المجاهدين الافغان والاخوان المسلمين منظمات معادية تريد نشر نفوذها بين مسلمى الاتحاد السوفياتى عبر الاتصالات والزيارات التى تتم بينهم . وقد اعترفت السلطات السوفياتية بأن الجنود السوفيات يواجهون مهام شاقة فى حماية الحدود مع افغانستان . كما ان التعاطف بين المجاهدين الافغان ومسلمى الاتحاد السوفياتى كان فعالا اذ كان المسلمون السوفيات ينصحونهم على مواصلة الجهاد والكفاح ويقولون لهم " عليكم بالجهاد حتى تتحرر بلادكم والا سيكون مصيركم مثل مصيرنا " .

٤ - ان البث الاذاعى للمواد الدينية باللغة العربية من دول الخليج العربية ، والبث الاذاعى من تركيا وباكستان وايران وصوب امريكا وراديو الحرية فى ألمانيا الغربية وراديو اورومجى فى تركستان الشرقية بالصين الشعبية التى تذيع برامج باللغات التركية والفارسية ، وبالاخص البرنامج التركستانى الذى تبثه الاذاعة السعودية باللغة التركستانية ويشتمل على مواد اسلامية بحته ، والتى يهتم المسلمون بالتقاط برامجها وتوسيع مداركهم الثقافية تثير مخاوف السلطات السوفياتية ليس لما تحمله من مواضيع سياسية ولكن لاحاديثها الدينية .

والصحوة الاسلامية التى يعيشها مسلمى الاتحاد السوفياتى ليست وليدة الاحداث فى ايران ، بل هى امتدادا لما يشهده العالم الاسلامى من تزايد الوعى الدينى كما انها وليدة العوامل المحلية هناك ، والاحداث الجارية فى أفغانستان المتاخمة ، اعطت طاقة اضافية ووعيا ذاتيا لوسط اسلامى يتميز بالحركة والنشاط الاسلامى ، فما عادة دعوى مناهضة الامبريالية الرجعية تبهر عامة المسلمين ، لاسيما بعد ان كشفت روسيا عن وجهها الامبريالى بغزو افغانستان . وعرف الشيوعيون بان الشعوب الاسلامية ليست بيئة خصبة لانتشار الالحاد والماركسية ـ الينينية مما أثار قلق السلطات السوفياتية التى تشعر بأن السيطرة على الاسلام فى الاتحاد السوفياتى اكثر صعوبة ، وان الجهاد الافغانى حركة اسلامية لايمكن قمعها ومنع اثرها فى حياة الشعوب والبلدان الاسلامية فى الاتحاد السوفياتى بسهولة ويسر .

١ ـ الدكتور محمد على البار

المسلمون فى الاتحاد السوفياتى عبر التاريخ ، جزءان ، دار الشرق بجدة ، ١٩٨٣ ٠

٢ ـ سيد عبدالمجيد بكر

الاقليات المسلمة فى اوروبا " سلسلة دعوة الحق ـ رقم ٤٣ " رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة يوليو ١٩٨٥ ٠

٣ ـ سيد عبدالمجيد بكر

الاقليات المسلمة فى آسيا واستراليا " سلسلة دعوة الحق ـ رقم ٢٣ " رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة نوفمبر ١٩٨٣ ٠

٤ ـ الدكتور اسماعيل احمد ياغى والشيخ محمود شاكر

تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ، جزءان ، دار المريخ، الرياض ، ١٩٨٤ ٠

٥ ـ المفتى ضياء الدين بن ايشان بابا خنوف

الاسلام والمسلمون فى البلاد السوفياتية ، الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان ، تاشكند ،عام ١٤٠٠ هـ

٦ ـ هيوغ واطسون ، ترجمة لجنة الترجمة فى دار الشرق الجديد " الاستعمار الجديد " سلسة تعرف الى العالم رقم ( ٤ ) دار الشرق الجديد ، بيروت ٠

٧ ـ مجلة الشئون السوفياتية ، معهد دراسة الشئون السوفياتية ، ميونيخ المانيا الغربية ، العدد ٢٧ ، ٢٨ فى عام ١٩٧٠ ـ العدد رقم ع فى عام ١٩٦٠ ٠

٨ ـ " واقع المسلمين فى روسيا " البلاغ ، الكويت ، العددين ٧١٥ ، ٧٠٧ صفر عام ١٤٠٤هـ ٠

1. Alexandre Bennigsen et Chantal Lemercier-Quelquejay: Les Musalmans Oublies: L'Islam en Union Sovietque, Francais Maspero, Paris 1981.

2. Dr. Baymirza Hayit: Turkestan im Herzen Euroasiene, Studienverlag, Koln, 1980.

3. Alexandre Bennigsen and Marier Broxup: The Islamic Threat to the Soviet State, Croom Helm, London, 1983.

4. Alexandre Bennigsen: Mullahs, Mujahidin and Soviet Muslims, Problems of Communism, Vol. XXXIII, No. 6, (Nov. Dec. 1984). PP. 28-44.

5. Alexandre Bennigsen: Soviety Muslims and the World of Islam, Problems of Communism, Vol. XXIX, No. 2, (Mar. - Apr. 1980) PP. 38-51.

6. Dr. Baymirza Hayit: Some Thoughts on the Problem of Turkestan Institute of Turkestan Research, Cologne, W. Germany, 1982.

7. Journal of Central Asian Survey, Oxford.

8. The Central Asian Newsletter, Oxford.

9. Journal of Institute of Muslim Minority Affairs, Jeddah & London.

10. Dr. Baymirza Hayit: Muslim Life and Culture in the Soviet Union, Journal of Muslim World League, Makkah, Vol. VII, No. 2(Dec. 1979) pp. 17-22, and Vol. VII, No. 4, (Feb. 1980) PP.50-55.

11. Dr. Nadir Devlet: Rusya Turklerinin Milli Mucadele Tarihi, Turk Kulturunu Arastirma Enstitusa,Ankara 1985.

12. Emel Iki Aylik Fikir-Kultur Dergisi, Istanbul.

13. Azerbaycan: Turk Kultur Dergisi, Ankara.